المبحث الأول:

من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ

خصائص النبي ﷺ التي يقصد منها الإعجاز – أو: الغالب عليها معنى الإعجاز – أتت على وجوه ثلاثة:

١. منها: ما يدل على بيان علو قدره، ورفعة منزلته عند الله، وإن كانت كل الخصائص تفيد ذلك المعنى.

٢. ومنها: ما يدل على بيان عِظَمِ الرسالة المحمدية.

٣. ومنها: ما يدل على بيان مكانة الأمة المحمدية، وفضلها على سائر الأمم، وإن كانت كلها يراد منها بيان عظم قدره، وسمو منزلته على سبيل الإعجاز، والتحدي، والتكريم، والتشريف، والتفضيل المطلق للنبي المصطفى ﷺ، **وبيان ذلك في المطالب التالية:**

المطلب الأول: من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها علو قدره، ورفعة منزلته، وسمو مكانته ﷺ بين الخلق جميعًا في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها بيان عِظَمِ الرسالة الإسلامية التي أرسله الله بها.

المطلب الثالث: من الخصائص الإعجازية التي يظهر منها بيان منزلة الأمة المحمدية من بين الأمم في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول:

من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها علو قدره، ورفعة منزلته، وسمو مكانته ﷺ بين الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة.

أولا: معنى الخصائص الإعجازية:

«**الخصائص الإعجازية**»: هي الأشياء التي فَضَّل الله بها نبيَّه، واختَصَّهُ بها من بين الأنبياء، ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، فهي فعل الله تعالى لإظهار تفضيل الله لنبيه على الأنبياء والخلق أجمعين؛ لأن معنى «المعجزة» – كما سبق –: أن الله تحدى بها الخلق وعجزوا عن الإتيان بمثلها، أو يعجزون عن الإتيان بمثلها، **وهي على ضربين:**

الأول: نوع للبشر قُدْرَةٌ عليه، لكنهم عجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فِعْلٌ لله دَلَّ على صدق نبيه، كصَرْفِهِم عن تَمَنِّى الموت، وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن، أو حتى أَقْصَرِ آيةٍ منه[1].

والثاني: نوع خارج عن قدرهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله، كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام الشجر والحجر، ونبع الماء من الأصابع[2]، وانشقاق القمر[3]، مما لا يمكن أن يفعله إلا الله، فكون ذلك على يد النبي ﷺ مِن فِعْلِ الله تعالى وتحديه لِمَن يكذب بها أن يأتي بمثلها، تعجيزًا له.

والمعجزات التي ظهرت على يد نبينا ﷺ دلائل نبوته وبراهين صدقه – من هذين النوعين معًا – وإن كانت هذه المعجزات قد أيد الله ببعضٍ مِنْهَا بعض رسله من قبل: إلا أنَّ وَجْهَ خصوصية الرسول الأكرم ﷺ فيها يظهر في: أنه أكثر الرُّسُلِ معجزة، وأبهرهم آيةً، ومعجزاته التي هي من

---

(1) «الشفا» (ج١ ص٢٥٢)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧١).

(2) يراجع: «صحيح مسلم» (ج٤ ص١٧٨٣ – ص١٧٨٥).

(3) صحيح البخاري (ج٣ ص١٣٣١)، و«التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص٦٩).

جِنس معجزات مَن سَبَقَ: أعظم وأكبر وأبهر، فمثلا: نبع الماء من الحجر لموسى، ونبعه من بين أصابع النبي ﷺ فالأول معتاد، أما نَبْعُه من بين اللحم والدم غير معتاد، فوجه الإعجاز فيه أقوى وأظهر، وأبلغ، وهكذا سائر المعجزات[1]، كما أنَّ فِي تَنَوُّعِ وتعدد وكثرة تلك المعجزات وجوه أخرى للتفضيل وأسرار كبرى من الخصائص والفضائل التي لم يعطها الله لأحد قط إلا النبي الحبيب ﷺ، وسوف أبين فيما يلي بعضًا من تلك **الخصائص الإعجازية التي يقصد منها بيان علو قدره وسمو منزلته عند الله تعالى فيما يلي:**

١) من الخصائص المحمدية: «النَّسَبُ الشَّرِيفُ»:

لا خلاف في أن النَّسَبَ الصَّحِيحَ المُتَّفَقَ عليه للنبي الأكْرَمِ ﷺ هو: **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان**[2].

وأمُّهُ: آمِنَةُ بنتُ وَهْب بنِ عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[3].

ولا خِلَافَ أن: عدنان مِن وَلَدِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإنما الخلاف في عَدَدِ مَا بين عدنان وإسماعيل من الآباء فمُقِلٌّ ومُكْثِرٌ، وكذلك من إبراهيم إلى آدم؛ لا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذلك إلا الله.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس[1] قال: «ما بَيْنَ عَدْنَان وإسْمَاعِيل ثَلاثُونَ أَبًا لا يُعْرَفُون»[2] وكان إذا بلغ عدنان يقول: «كَذَبَ النَّسَّابُونَ» مرتين أو ثلاثًا[3].

---

[1] «الشفا» (ج١ ص٢٥٣).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٨٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١٧٧)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥).

[3] «الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٩٨)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٢٠).

وقال عروة بن الزبير[٤]: «مَا وَجَدْنَا أحَدًا يَعْرِفُ مَا بَيْنَ عَدْنَان وإسْمَاعِيْل»[٥].

ووجه الاختصاص والإعجاز في ذلك: ما قاله ﷺ عن نفسه: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ: إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ: بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ: بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[٦].

فكان ﷺ خيارًا مِن خِيَارٍ، وهذا يعني أن الله اصطفاه على كُلِّ العالمين نسبًا وصهرًا، فكانت أمه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف مِن أعلى البيوت في قريش حسبًا ونسبًا وصهرًا؛ إذ كان عبد المطلب بن هاشم سيد بني هاشم بعد أبيه هاشم، وكان وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة، فضَمَّ في نسبه ﷺ طهارة الأحساب، وشرف الأنساب، ورِفْعَة البيوت، فكان شرف الآباء مناسبًا لطهر الأمهات[٧]، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ

---

[١] هو الصحابي الجليل: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، حبر الأمة، ولد بمكة، وشهد مع علي «الجمل وصفين»، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل أية. انظر: «موسوعة الأعلام» (ج١ ص٣٥٢).

[٢] «سيرة ابن كثير» (ج١ ص٧٥)، و«تاريخ الإسلام» (ج١ ص٢).

[٣] «البداية والنهاية» (ج٢ ص١٩٤).

[٤] هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمه أسماء بنت أبي بكر، من كبار التابعين، فقيه محدث، أخذ عن أبيه وأمه، وخالته السيدة عائشة، وعنه خلق كثير، لم يدخل في شيء من الفتن، انتقل من المدينة إلى البصرة، ثم مصر فأقام بها سبع سنين، وتوفي بالمدينة (سنة: ٩٩ هـ). وبها: "بئر عروة " تنسب إليه، معروفة الآن، ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص١٨٠)، و«الأعلام» للزركلي (ج٥ ص١٧).

[٥] «شرح العقيدة الوسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٤٥ – ص٢٤٦)، ط٢، ١٤١٥هـ بدار الهجرة، بالمملكة العربية السعودية، و«زاد المعاد» (ج١ ص٧٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧)، و«الوفا بأحوال المصطفى» (ج١ ص١٣١)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٧).

[٦] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: [٣٦,٥]، (ج٥ ص٥٨٣)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، حديث أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ، رقم: [١٧,٢٨]، (ج٤ ص١,٧).

[٧] «من خصائص الرسول ﷺ» د. شعبان محمد إسماعيل (ص: ٦).

﴾[1] وقد جاء في طَهَارَةِ نَسَبِهِ وشَرَفِهِ ﷺ في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تدل على شرف النسب، وتبين رِفْعَة نَسَبِهِ ﷺ وطهارته وسُمُوَّهُ، وأن الله اختَصَّهُ بذلك الشرف، والحسب، والنسب على العالمين؛ بل الخلق جميعًا **ومنها ما يلي:**

١. عن واثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[3].

وكما قال أبو تَمَّام[4]:

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِن شَمْسِ الضُّحَى *** نُورًا وَمِن فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودًا[5].

٢. عن ابن عباس ﷺ قال: إن رسول الله قال: «لَم يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَم يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِن الأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّبًا، وَلَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إلا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا»[6].

---

[1] سورة الأعراف، آية: (٥٨).

[2] واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة الليثي، وقيل: إنه واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر، والأول أصح: أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، ويقال إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصفة، يقال: إنه نزل البصرة وله بها دار، ثم سكن الشام بقرية يقال لها: البلاط، وشهد المغازي بدمشق وحمص ثم إلى بيت المقدس، ومات بها وهو ابن مائة سنة، قيل بل توفي بدمشق في آخر خلافه عبد الملك سنة: خمس أو ست وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة، يكنى أبا الأسقع، وقيل يكنى أبا محمد، وقال ابن معين: كنيته أبو قرصافة. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١ ص٤٩٦).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم: [٢٢٧٦]، (ج٤ ص١٧٨٢).

[4] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من نفس طيىء صليبة مولده ومنشؤه منبج بقرية منها يقال لها جاسم شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره، يراجع: «الأغاني» (ج١٦ ص٤١٦).

[5] «الأغاني» (ج١٦ ص٤١٦).

[6] أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٣ ص٤٠٨)، وقال: «هذا حديث غريب جدا»، وانظر: «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣١).

٣. عن علي بن أبي طالب[١] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي ، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»[٢].

٤. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ القَرْنِ الذِي كُنْتُ فِيْهِ**»[٣]، وهذا يعني: أن الله خَصَّه بذلك النسب دون غيره، وأخبر به ﷺ لإظهار تفضيل الله تعالى له، واختصاصه بذلك، وتحدِّيْهِ للخلق بذلك، وأن ذلك فِعْلُ الله وليس في مقدور أحد من البشر أن يفعل ذلك من عند نفسه دون تأييد من الله ومعونة ورعاية، **ولَفْظُ الخصوصية ظاهِرٌ** في قوله ﷺ: «**لَم يَلْتَقِ أَبَوَايَ**»، و«**لَم يُصِبْنِي**» و«**بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُون**»، و«**إنَّ الله اصْطَفَانِي**» وهكذا[٤].

٢)– من خصائصه ﷺ: «المُبَشِّرَاتُ بِمَوْلِدِه وبَعْثَتِهِ ﷺ»:

يَذْكُرُ المؤرخون رُؤًى كثيرة، منها ما كان قُبَيْل مولده ﷺ، ومنها ما كان بعد ولادته، وقبيل بعثته، فضلاً عما كان في كتب الأنبياء السابقين من البشارة ببعثته ﷺ: كإبراهيم وموسى، وعيسى وغيرهم، وهذا لم يكن لأحد إلا للنبي ﷺ، اختصه الله بها؛ لإظهار فضله وشرفه وعظيم مكانته، وأنه ليس بشرًا عاديًا، إنما هو أفضل البشر، وأعظمهم، وأكرمهم عند الله تعالى، ففيها إعلام بعظيم قدره، وشريف مكانته عند الله تعالى، **فوجه الخصوصية والإعجاز فيها**: أنه لم

---

[١] هو علي بن أبي طالب – واسم أبي طالب : عبد مناف – بن عبد المطلب، من بني هاشم، من قريش: أمير المؤمنين . ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، زَوَّجَهُ النبي ﷺ بنته فاطمة، ولي الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، فلم يستقم له الأمر حتى قتل بالكوفة (سنة: ٤٠ هـ). يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٥ ص١,٨)؛ و«مناهج السنة» (ج٣ ص٢) وما بعدها؛ و«الرياض النضرة» (ج٢ ص١٥٣).

[٢] أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٥ ص٨٠) برقم: [٤٧٢٨]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٢٢٥].

[٣] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، رقم: [٣٣٦٤] (ج٣ ص١٣,٥).

[٤] «الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٢) لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦ هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه العلامة: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، ط. دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤,٩ هـ.

يحدث لمولود قبله، ولا بعده مثل تلك المبشرات الكثيرة والمتعددة والمتنوعة، وأنه لا يستطيع بشر أن يتحكم في وجودها، أو عَدَمِهَا، إنما هي فِعْلُ الله تعالى؛ لإظهار فضله على عبده ورسوله من قَبْلِ أن يُولَد؛ ولإقامة الحُجَّةِ بها على المُكَذِّبِيْنَ والمعاندين مِمَّن كَفَرُوا به؛ ولِتَكُونَ قُرَّة عين للمؤمنين به، المصدقين لدعوته.

وهذه المبشرات كثيرة ومتنوعة ومن أهمها ما يلي:

أولا: الرُّؤَى التي كانت قُبَيْلَ مولده ﷺ من أهمها ما يلي[1]:

١. رؤيا عبد المطلب جَدِّ النبي ﷺ : قال: «بينما أنا نائم في الحِجْرِ رأيت رُؤيَا هالَتْنِي، ففزعت منها فزعًا شديدًا، فأتيت كاهنة قريش، فلما نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغير، وأنا يومئذ سَيِّدُ قومي.

فقالت: ما بال سيدنا، قد أتانا متغير اللون، هل رَابَهُ مِن حَدَثَانِ الدَّهْرِ شيء؟

فقلت لها: بَلَى، وكان لا يكلمها أحد حتى يُقَبِّلَ يَدَها اليمنى، وإني لَم أفعل.

فقلت: رأيت الليلةَ وأنا نَائِمٌ كأنَّ شَجَرَةً نَبَتَت قَد نَالَ رَأسُهَا السَّمَاء، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نورًا أزْهَرَ مِنْهَا، أعْظَمُ مِن نُورِ الشمس بتسعين ضعفاً، ورأيت العَرَبَ والعَجَمَ ساجدين لها، وهي تزاد كل ساعة عِظَمًا ونُوْرًا وارتفاعًا، ساعة تخض وساعة تُزْهِر، ورأيت رهطًا من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قومًا من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخَّرَهُم شاب لَم أرَ قَطُّ أحسن منه وجهًا، ولا أطيب منه ريحًا، فيَكْسِرُ أظهرهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها قِسمًا، فقال لي: لا نصيب لك فيها.

فقلت: وَمَن لَه نَصِيبٌ؟ فقال: النصيب بها للذين تعلقوا بها، وسَبَقُوك إليها، فانتبهت فزعًا مرعوبًا، فرأيت وجه الكاهنة قد تَغَيَّرَ، ثم قالت: لَئِن صَدَقَتْ رُؤيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِن صُلْبِكَ رجل يملك المشرق والمغرب، وتدين له الناس[1].

---

[1] «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣٦-١٣٧)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٣١)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٣٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٨٩).

٢. عن عَمَّةِ وَهْبِ بنِ رَبِيْعَةَ قالت: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لَمَّا حَمَلَت به آمنةُ بنت وهب كانت تقول: ما شَعُرْتُ أني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء، إلا أني أنكرت رفع حَيْضِي، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان، قال: هل شعرت أنك حملت، فكنت أقول: ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، وذلك يوم الاثنين[٢].

٣. وقُبَيْلَ وِلَادَتِهِ - أيضا - **رأت السيدة آمنة** مَن يَقُولُ لها: «قولي: أُعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ مِن شَرِّ كُلِّ حاسِدٍ»[٣]، قالت: فَذَكرتُ ذلك لنسائي، فقلن: عَلِّقِي حديدًا في عضديك وفي عُنُقِكِ، قالت: ففعلت، فلم يكن يَتْرُكُ عَلَيَّ إلا أياما فأجِدُهُ قد قُطِعَ، فكُنْتُ لا أتَعَلَّقُه[٤].

٤. مِن الآيات التي ظهرت عند وِلَادَتِهِ ﷺ مايلي:

١- ما رواه العِرْبَاضُ بنُ سارية[٥] - صاحِبِ رسول الله ﷺ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ - وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -**»[٦].

---

[١] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٣١٧)، و«سيرة ابن كثير» (ج١ ص٣,٩)، و«الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣٧).

[٢] «الروض الأنف» (ج١ ص٧٤)، و«لطائف المعارف» لابن رجب (ج١ ص٩١).

[٣] «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩٣)، و«لطائف المعارف» (ج١ ص٩١)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٩٨).

[٤] «الطبقات الكبرى» (ج١ ص٩٨).

[٥] العِرْبَاضُ بن سارية: صحابي مشهور من أهل الصفة هو ممن نزل فيه قوله تعالى: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم} قال هو وعمرو بن عبسة: «أنا رابع الإسلام»، لا يدري أيهما قبل صاحبه، ثم نزل حمص وحديثه في السنن الأربعة، مات في فتنة ابن الزبير، وقال أبو مسهر: مات بعد ذلك سنة خمس وسبعين. «الإصابة» (ج٢ ص٢٤٦).

[٦] أخرجه أحمد في مسنده، حديث العرباض بن سارية رقم: [١٧١٩.] (ج٤ ص١٢٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحزاب، رقم: [٣٥٦٦]، (ج٢ ص٤٥٣)، وقال: «صحيح الإسناد» وأقره الذهبي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: التاريخ، باب: من صفته ﷺ وأخباره، رقم: [٦٤,٤]، (ج١٤ ص٣١٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

قال البيهقي[1] **معلقًا**: «**وإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِيْنَتِهِ**»: يُرِيْدُ بِه قَبْلَ أن يكون أبَا البشر وأول الأنبياء، أي: أنَّه كان كذلك في قضاء الله وتقديره.

ومعنى «**دعوة إبراهيم**»: أن الله لما قضى بأن يجعل محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وأثبت ذلك في أم الكتاب أنجز ذلك القضاء بأن قيض إبراهيم عليه السلام للدعاء الذي ذكره؛ ليكون إرسالُه إياه بدعائه،كما يكون تَقَلُّبه مِن صُلْبِه إلى أصلاب أولاده.

وأما «**رُؤيا أمِّهِ آمِنَة**» فهي: أنها تُحَدِّثُ أنَّها أُتِيَت حِين حَمَلَت بمحمد ﷺ[2] فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد مِن شَرِّ كُلِّ حاسِد[3].

وفي رواية: «وَرُؤْيَا أمِّي التي رَأت أنَّه خَرَجَ مِنْهَا نُوْرٌ أضَاءَت لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»[4].

٥. رُؤيا العَبَّاس عَمِّ النبي ﷺ.

رَوَى البيهقي عن العباس عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ قال: قلت يا رسول الله دعاني إلي الدخول في دِيْنِك أمَارَة لنبوتك: رأيتك في المَهْدِ تُنَاجِي القَمَر، وتُشِيرُ إليهِ بِإصبُعِكَ، فحيث أشَرْتَ إليهِ مَالَ، قال ﷺ:

---

[1] البيهقي هو: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو بكر البيهقي – نسبة إلى بيهق وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور –: فقيه شافعي، حافظ كبير، أصولي ومكثر من التصنيف، غلب عليه الحديث واشتهر به، وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي، وكان من أكثر الناس نصرًا لمذهب الشافعي، قال إمام الحرمين في حقه: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي، فإن له على الشافعي منة. توفي (سنة ٤٥٨ هـ)، من تصانيفه: "السنن الكبير"، والسنن الصغير، وكتاب الخلاف، ومناقب الشافعي. ترجمته في: «طبقات الشافعية» (ج٣ ص٣)، و«وفيات الأعيان» (ج١ ص٧٥).

[2] «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص: ١٦٣)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز الملقب بـ:صدر الإسلام (ج١ ص١٥٢)، و«الخصائص الكبرى» لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ط: دار النشر، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤,٥هـ – ١٩٨٥م، (ج١ ص١٤).

[3] «نهاية الأرب في فنون الأدب» (ج٤ ص٢٣١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص٨٢-٨٣)، «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩٣)، و«تهذيب سيرة ابن هشام» (ج١ ص٤٣)، و«السيرة النبوية» لابن إسحاق (ج١ ص٩).

[4] أخرجه أحمد في مسنده حديث أبي أمامة الباهلي الصدى بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي عن النبي ﷺ رقم: [٢٢٣١٥].

«إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ وَيُحَدِّثُنِي، وَيُلْهِينِي عَنِ الْبُكَاءِ، وَأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ»[1].

تزويج عبد الله أبي النبي ﷺ بآمِنَةَ بنْتِ وَهْب وحَمْلِهَا بِرَسُولِ الله ﷺ وَوَصْفِهَا إِيَّاهُ: كان عبد المطلب بن هاشم قَد نَذَرَ حِيْنَ لَقِيَ مِن قُريش عند حَفْر زَمْزَم مَا لَقِي: لَئِن وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ نَفَر، ثُمَّ بَلَغُوا مَعَه حَتَّى يَمْنَعُوه: لَيَذْبَحَنَّ أَحَدَهُم لله عند الكعبة، فلما تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةً: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمعوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله، وعرف أنهم سَيَمْنَعُوه جَمَعَهُم، ثم أخبرهم بِنَذْرِهِ، ودعاهم إلى الوفاء به، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحًا، فيكتب فيه اسمه، ثم تأتوني، ففعلوا، ثم آتوه، وكان عبد الله أصغر ولد عبد المطلب، وأحَبّ أولاده إليه، فَقَامَ عَبْدُ المطلب عند هُبَل يَدْعُو ألا يَخْرُجَ القدح على عبد الله، فخرج القدح عليه، فأخذه بيده ليذبحه، فقامت قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه!.

وذكر ابن إسحاق[2] **أن:** العباس بن عبد المطلب اجْتَرَّهُ مِن تَحت رِجْلِ أبيه حَتَّى خَدَشَ وَجْهه عبد الله خَدْشًا لَم يَزَل في وَجْهِه إلى أن مات، وقالت قريش: لا تذبحه، وأتوا عَرَّافَةً يقال لها سجاح[3]، فسألوها، وتابعوها حتى ضربت لهم قداحًا بالفداء على مثل الدِّيَةِ، ففعلوا حتى بلغت

---

[1] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (ج٢ ص٤١)، وقال: «تفرد به الحلبي بإسناده، وهو: مجهول».

[2] ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله، القرشي المطلبي المدني: مؤرخ، حافظ، قال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار، وقال ابن عيينة : جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئا. توفي (سنة: ١٥١ هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (ج٧ ص٣٣)، و«طبقات ابن سعد» (ج٧ ص٣٢١)، و«الأعلام» (٦ج ص٢٥٢).

[3] سجاح بنت الحارث التميمية التي ادعت النبوة في الردة، وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام، فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية، وكانت تكنى أم صادر، واسم مؤذنها زهير بن عمرو، وقيل جنبة بن طارق، وقد أسلمت أيام عمر بن الخطاب فحسن إسلامها. «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٤ ص١٣)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (ج٤ ص٩٧).

الإبل مائة، وهي مثل الدية التي كانت شائعة بينهم عشر مرات، فَنُحِرَت وتُرِكَت لا يُصَدُّ عَنْهَا أحَد[1].

٦. مَا كَانَ فِي آبائه وأجدَادِه ﷺ مِن أنْوَارِ النُّبُوَّةِ:

وَرَدَ أنَّ أبَاهُ عبد الله كان يُرى في وجهه نور النبوة وَضَّاء؛ إذ رُوِىَ أنَّهُ انْصَرَف عبد المطلب آخذًا بيد ابنه، فَمَرَّ به على امرأة من بني أسد بن عبد العزي بن قصي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إليه: أين تذهب يا عبد الله؟ فقال مع أبي، فقالت: لك عندي من الإبل مثل التي نُحِرَت عنك، وَقَعْ عَلَيَّ الآن، فقال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ولا أعصيه، فخرج عبد المطلب، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة، ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا[2]، فزَوَّجَهُ آمِنَة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، وذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله ﷺ[3].

قال: ثُمَّ خَرَج مِن عِنْدِهَا حتى أتى المرأة التي قالت ما قالت، وهي أم إقبال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي، وهِيَ فِي مَجْلِسِهَا، فجلس إليها، وقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم مثل الذي عرضت أمس، فقالت: قَد فَارَقَكَ نُوْرُك الذي كان منك، فليس لي بك اليوم حاجة، وَكَانت فيما زعموا تَسْمَعُ مِن أخيها ورقة بن نوفل - وكان من علماء النصرانية -: «إنَّه لَكَائِنٌ فِي هذه الأمة نَبِيٌّ مِن بَنِي إسْمَاعِيل» وقالت في ذلك شعرًا:

آلْآنَ وَقَدْ ضَيَّعْتَ مَا كُنْتَ قَادِرًا *** عَلَيْهِ وَفَارَقَكَ الَّذِي كَانَ جَاءَكَا
غَدَوْتَ عَلَيَّ حَافِلًا قَدْ بَذَلْتَهُ *** هُنَاكَ لِغَيْرِي فَالْحَقَنَّ بِشَانِكَا
وَلَا تَحْسَبَنِّي الْيَوْمَ خِلْوًا وَلَيْتَنِي *** أَصَبْتُ جَنِينًا مِنْكَ يَا عَبْدَ دَارِكَا

---

[1] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٤٨)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩١)، و«صفوة الصفوة» (ج١ ص٤٨).

[2] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩١)، و«صفة الصفوة» (ج١ ص٤٨).

[3] «تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٩)، و«سيرة ابن إسحاق» (ج١ ص١٩).

وَلَكِنَّ ذَاكُمْ صَارَ فِي آلِ زُهْرَةٍ *** بِهِ يَدْعَمُ اللهُ الْبَرِيَّةَ نَاسِكَا

وَقَالَتْ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِآلِ زُهْرَةَ حَيْثُ كَانُوا *** وَآمِنَةَ الَّتِي حَمَلَتْ غُلَامَا

تَرَى الْمَهْدِيَّ حِينَ تَرَى عَلَيْهِ *** وَنُورًا قَدْ تَقَدَّمَهُ أَمَامَا[1].

وقد يَعْتَرِضُ البَعْضُ عَلَى هَذِهِ القِصَّة بأنها لا تليق بشأن سلسلة النبوة، فكيف تطلب المرأة من أبي النبي ﷺ الزنا؟

= **والجواب أن:** الروايات لَم تُصَرِّح بِالزِّنَا، وإنما صَرَّحَت بِطَلَبِ المَرْأَةِ إِيَّاهُ، والغالب أنَّ طَلَبَهَا كان من أجل الزواج بها، على ما كان معروفًا بينهم أن المرأة هي التي تطلب الزواج أحيانًا؛ وذلك لأن هؤلاء النسوة كُنَّ عَلَى عِلْمٍ بالكتاب المقدس، وما فيه من خصائص النبي ﷺ في سلالة الآباء؛ بدليل أنهن بَعْدَ أن رأين ما كان في وجه أبيه من نورٍ قَد ذَهَب، لَم يَرْغَبْنَ فيه، فلم يكن طلبهن الزنا، وإنما كُنَّ يُرِدْنَ شَرَف النَّسَبِ والطُّهْرِ[2].

يؤيد ذلك: ما ذَكَرَهُ ابنُ كَثِير[3] وغيره: أنَّ امْرَأَةً مِن خَثْعَم كَانَت تَعْرِضُ نَفْسَها فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ، وَكَانَت ذَاتَ جَمَال، وكان معها أَمَةٌ تطوف بها كأنها تبيعها، فأتت على عبد الله بن عبد المطلب، فأظن أنه أعجبها فقالت: إني والله ما أطوف بهذا الأدم ومالي إلى ثمنها، وإنما أتوسم الرجل، هل أحد كفؤا، فإن كانت لك إلى حاجة فَقُم، فقال لها: مكانك حتى أرجع إليك، فانطلق إلى رحلة، فبدا فواقع أهله، فحملت بالنبي ﷺ فلما رجع إليها، قال: ألا أراك ههنا.

---

[1] «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ج١ ص٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٣)، و«الوفا» لابن الجوزي (ج١ ص١٤٨ – ١٤٩)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٣٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥).

[2] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

[3] ابن كثير هو: محمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو عبد الله، البصروي، ثم الدمشقي، الشافعي ، أبوه الحافظ ابن كثير: المفسر المؤرخ المشهور. ترجمته في: «شذرات الذهب» (ج٦ ص٣٥)، و«معجم المؤلفين» (ج٩ ص٥٩).

قالت: ومن كنت؟ قال الذي وعدتك، قالت: لا، ما أنت هو، ولئن كنت هو لقد رأيت بين عينك نورًا ما أراه الآن.

وعلى فرض صحة قولهم: فإن تلك النِّسْوَةَ طَلَبْنَ وعبد الله امتنع، و لم يفعل بدليل ما جاء في بعض الروايات: أن عبد الله قال:"لمن طلبت منه ذلك:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهْ *** وَالْحِلُّ لَا حَلَّ فَأَسْتَبِينَهْ[1]

فَكَيْفَ لِي الْأَمْرُ الَّذِي تَبْغِينَهْ *** يَحْمِي الكَرِيْمُ عِرْضَهُ وَدِيْنَهُ[2]

وكانت السيدة آمنة بنت وهب تُحَدِّثُ[3] أَنَّهَا أُتِيَت حِيْنَ حَمَلَت به ﷺ فقيل لها: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِنَبِيِّ هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعِيْذُه بِالوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ.

وفي رواية: فإذا وَقَعَ فَسَمِّهِ «مُحَمَّدًا»، فإن اسمه في التوراة والإنجيل: «أحمد»، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن «محمد»، فَسَمَّتْهُ بذلك، فلما وضعته، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها، وقد هَلَكَ أبوه وهي حُبْلَى، ويقال أن عبد الله مات والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرًا، فلما جاءها خَبَّرَتْهُ خَبَرَهَا، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها، فأخذه عبد المطلب في جوف الكعبة، وقام يحمد الله، ويشكره الذي أعطاه إياه، وأنشد يقول[4]:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي *** هٰذا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ *** أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِتْيَانِ *** حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ

---

[1] «السيرة النبوية» لابن كثير (ج١ ص١٧٨)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩١)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص٣٢٧)، و«عيون الأثر» (ج١ ص٣٥).

[2] «مجمع الأمثال» (ج١ ص٢٤٣)، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» (ج٤ ص٢٣)، و«ديوان الصبابة» (ج١ ص٩٠).

[3] «الشريعة» (ج١ ص٤٣٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥).

[4] «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٩٣ – ٩٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَآنِ *** مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعَنَانِ[1]

ولما كان اليوم السابع ذَبَحَ عَنْهُ، وَدَعَا لَه قريشا، فلما أكلوا قالوا: ما سميته؟ قال: سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا. قالوا: فَلِمَ رَغِبْتَ بِه عن أسماء أهل بيته؟ فقال: أردت أن يَحْمَدَهُ الله تعالى في السماء، وخلقه في الأرض.

وأما جَدُّهُ عبد المطلب: فقد وَلِيَ مَا كَان لأبيه من إطعام الثريد بمكة والسقاية والرفادة، وكان يسمى بالفَيَّاضِ لِسَمَاحَتِه[2]، وأحَبَّهُ أهْلُ مَكَّةَ، وعَظُمَ أمْرُهُ فيهم، حَيْثُ شَرُفَ شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه.

وأما قُصَيُّ بنُ لُؤَيّ: فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة واللواء، وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كُلَّ قَومٍ منهم مَنْزِلَهَم، وكان لا تُنْكَح امرأةٌ منهم، ولا يَتَزَوَّج رَجُلٌ، ولا يتشاورون فيما نزل بهم، ولا يَعْقِدُون لواءَ حَرْبٍ: إلَّا فِي دَارِهِ يعقده لهم هو، أو بعضُ وَلَدِه.

وأما هاشِمُ بنُ عَبْدِ مَنَاف: وَاسْمُهُ عَمْرٌو، وَإِنَّمَا سُمِّيَ «هَاشِمًا» لَهَشْمِهِ الثَّرِيدَ مَعَ اللَّحْمِ لِقَوْمِهِ، وهو أول من سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ: رحلة الشتاء، والصيف، وأول من أطعم الثَّرِيْدَ بِمَكَّة[3] وأنشد بعضهم:

عَمْرو الذى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ *** وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا *** سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ[4].

---

[1] «المنتظم» لابن الجوزي (ج١ ص٢,٨)، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» (ج٤ ص٢٣٣).

[2] «زاد المعاد» (ج١ ص٧٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٩٣ – ٩٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

[3] «مختصر سيرة الرسول» لابن عبد الوهاب (ص: ٢٤).

[4] «زاد المعاد» (ج١ ص٧٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٩٣ – ٩٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

ثانيا: مِن الرُّؤَى التِي كَانَت قَبْلَ بعثَتِهِ، وبعد وِلَادَتِهِ ما يلي:

١. رُوِيَ عَن مُوسَى بنِ عُقْبَة قال: سَمِعْتُ أمَّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص تقول: بَيْنَا خالد بن سعيد[١] ذاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ قال: رأيت كأنه غُشِيَت مَكَّةُ ظُلْمَة حَتَّى لَا يُبْصِرَ امْرُؤٌ كَفَّهُ، فبينا هو كذلك إذ خرج نُورٌ عَلا في السماء، فأضاء في البيت، ثم أضاء مكة كلها، ثم إلى نَجد، ثم إلى يَثْرِب، فأضاءها حتى أنِّي لأنْظُر إلى البُسْرِ في النَّخْلِ، قال: فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جَزلَ الرَّأي، فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم؟ قال خالد: فإنَّهُ لَمَا هَدَانِي الله بِه إلى الإسلام. قالت أم خالد: فأوَّلُ مَن أسلم: أبِي، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ، فقال: يا خالد أنا والله ذلك النُّور، وأنا رسول الله، فقص عليه ما بعثه الله به، فأسلم خالد، وأسلم عمرو بعده[٢].

٢. عن عمرو بن مُرَّةَ الجُهَنِيّ[٣] قال: «خرجت حاجًا في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في المنام وأنا بمكة نورًا ساطعًا من الكعبة، حتى أضاء لِي من الكعبة إلى جبل يثرب، وأشعر جهينة، فسمعت صوتًا في النور يقول: «انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبُعِثَ خاتم الأنبياء»، ثم أضاء أخرى خطرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، فسمعت صوتًا في النور يقول: «ظَهَر الإسلام، وكُسِرَت الأصنام، ووُصِلَت الأرحام»، فانتبَهْتُ فَزِعًا، فقلت لقومي: والله لَيَحْدُثَنَّ في هذا من قريش حَدَثٌ، وأخبرتهم بما رأيت، فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا الخبر

---

[١] خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أبو سعيد أمه أم خالد بنت حباب الثقفية من السابقين الأولين قيل: كان رابعاً أو خامساً، وكان سبب إسلامه رؤيا رآها أنه على شعب نار فأراد أبوه أن يرميه فيها فإذا النبي ﷺ قد أخذ بحجزته فأصبح فأتى أبا بكر فقال: أتبع محمداً فإنه رسول الله، فجاء فأسلم فبلغ أباه فعاقبه ومنعه القوت ومنع إخوته من كلامه، فتغيب حتى خرج بعد ذلك إلى الحبشة، فكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة وولد له هناك بنته أم خالد، استشهد خالد يوم مرج الصفر. «الإصابة» (ج١ ص٢٧٨).

[٢] أخرجه المحاملي في أماليه (ص: ١٣١)، برقم: [٢٤٨].

[٣] عمرو بن مرة الجهني صاحب النبي ﷺ روى عنه ابنه العلاء بن الزبير فيما رواه الوليد بن مسلم عن أسيد الكلابي عن العلاء، وروى عنه محمد بن عبد الله البصري. «الجرح والتعديل» (ج٣ ص٥٧٩)، و«الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٢ ص٣,٦).

أن رجلاً يقال له: «أحمد»، قد بُعِث، فخرجت حتى أتيته، فأخبرته بما رأيت، فقال لي: «يا عمرو بن مرة: أنا النَّبِيُّ المُرْسَلُ إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصوم رمضان، فمن أجاب دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، فآمِن بالله يا عمرو بن مرة، يُؤمِّنك الله مِن هَوْلِ النار»، فقلت يا رسول الله: آمَنْتُ بِكُلِّ ما جئت به من حلال وحرام، وإن أرْغَمَ ذَلك كثيرًا مِن الأقوام. ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنَّنِي *** لِآلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ

وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارَ مُهَاجِرًا *** أَجُوبُ إِلَيْهِ الْوَعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ

لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا ... رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ[1]

فقال النبي ﷺ: «مَرْحَبا بِكَ يَا عَمْرَو بنَ مُرَّةَ»، قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ابعث بي إلى قومي، لعل الله ﷻ يَمُنُّ عليهم بي كما منَّ عليَّ بك، فبعثني إليهم وقال: «عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ، والقَوْلِ السَّدِيدِ، وَلَا تَكُ فَظًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا حَسُوْدًا»[2].

وقد أنْكَرَ بَعضُ النَّاسِ هذه الأمور التي صاحَبَت مَوْلِدَه ﷺ، ويقولون إن الإعجاز يكون أقوى بكونه بشرًا عاديًا؛ لأن الله يقول:﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾[3].

ويُجَابُ عَلى ذلك: بأن الآية لا تَدُلُّ عَلى ما قالوا؛ لأنه ﷺ بشر لكن ليس كسائر البشر، ونبي لكن ليس كسائر الأنبياء، فهو بشر يوحى إليه، وخاتم النبيين والمرسلين، وأفضل خلق الله أجمعين.

وهذه المُبَشِّرَات التي جاءَت تُبَشِّرُ بمولده: ليست من اختراعات القصاص أو المسلمين، وإنما رويت عن المسلمين، وأهل الكتاب، وذكرها المؤرخون باستفاضة، حتى بلغت مبلغ الشهرة بين

---

[1] «السيرة النبوية» لابن كثير (ج١ ص٣١٥)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص١٣٤).

[2] «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣٩ – ١٤٠)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات لابن سعد» (ج١ ص٥٥).

[3] سورة الكهف، آية: (١١٠).

الخاصة قبل العامة، ومع ذلك فهي ليست خالية عن المعنى، وإنما تحمل معاني جليلة تدل على شرافة قدر النبي ﷺ، وعُلُوِّ منزلته عند ربه؛ لكي يحاول المسلم أن ينزله منزلته، ويعرف له قدره وحقه؛ كي يسلم له مقصوده في الدنيا والآخرة، وهي ليست عملاً بشريًا، وإنما مِن صُنْعِ الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه.

كما أنها دَلَالَةٌ للعالَمِين جميعًا أن هذا المولود سيغير مَجْرَى التاريخ، وسيُحَوِّلُ الله به البشر من عبادة الخلق إلى عبادة رب الخلق، فَطُوبى لمن آمن به واتبعه.

ثالثًا: ما روي من الآيات للنبي ﷺ عند بناء الكعبة.

ذَكَرَ البيهقي في «الدلائل» – عِنْدَ بِنَاءِ قُرَيْشٍ للكعبة في أيام صِبَى النبي ﷺ[1] – عن ابن عباس: أنَّ أوَّلِيَّةَ قُرَيش كانوا يحدِّثُون أن رجالاً من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة، وانتهوا إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: عَمَدَ رجل إلى حجر من الأساس الأول فَرَفَعَهُ، وهو لا يدري أنه من الأساس الأول، فأبصر القوم بَرْقَة تحت الحجر كادت تلتمع بصر الرجل، ونزل الحجر من يده فوقع في موقعه، وفزع الرجل والبناة، فلما ستر عنهم الحجر ما تحته عادوا إلى بنيانهم وقالوا: لا تحركوا هذا الحجر، ولا شيئا بِحِذَائِه[2].

وعن محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث[3] عن أبيه أنهم وَجَدُوا كتابًا أسْفَلَ المَقَامِ، فدَعَت قريش رجلاً من حِمْيَر، فقال: إن منه حرفًا لو أحدثكموه لقتلتموني، فظننا أن فيه ذِكْرُ مُحَمَّدٍ فَكَتَمْنَاهُ[1].

---

[1] «الشريعة» (ج١ ص٤٣٤).

[2] «تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٦٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٨٩).

[3] محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي: قال البغوي: ذكره بعضهم في الصحابة ووجدته يروي عن أبيه. وقال البخاري: روى بن خيثم عن أبي الزبير عن محمد بن الأسود بن خلف عن النبي ﷺ في قريش. «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٣ ص٥٧)، و«لسان الميزان» (ج٢ ص٣٥).

ومعلوم أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ ملتصقًا بالكعبة، ثم أخَّرَهُ عُمَرُ ﷺ.

يوم مولد الرسول ﷺ:

ما رُئِي يومٌ قَطُّ كَان أحْسَنَ، ولا أضْوَءَ مِن يَوْمٍ وُلِدَ فِيه رسول الله ﷺ، وظهر في عالم الحِـــسِّ، وما رُئِي يَومٌ كَان أصعب ولا أشد من يومٍ مَاتَ فيه رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ[٢] قال: «**لَمَّا كَانَ اليَومُ الذِي دَخَلَ فِيه رَسُول الله ﷺ المَدِيْنَةَ أضَـــاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيءٍ، فَلَمَّا كَان اليَومُ الذي مَاتَ فِيْهِ أظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَن رَسُولِ الله ﷺ الأيْدِي، وإنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أنْكَرْنَا قُلُوبَنَا**»[٣].

ولا خِلَافَ أنَّ مَوْلِد النبي ﷺ كان في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في عام الفيل[٤].

فعن أبي قتادة الأنصاري[٥]: أن أعرابيًا سأل رسول الله ﷺ عَن صَوْمِ يَوم الاثْنَين؟ فقال: «**ذَاكَ اليَوْمُ الذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ فِيْهِ**»[١].

---

[١] «التاريخ الكبير» البخاري (ج١ ص٤٤٥)، و«قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية» لمحمد بن جميل زينو (ج١ ص٢).

[٢] هو أنس بن مالك بن النضر، النجاري الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، خدمه إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات بها آخر من مات بها من الصحابة ٩٣ هـــ. يراجع: «صفة الصفوة» (ج١ ص٢٩٨).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: [٣٦١٨] (ج ٥ ص ٥٨٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[٤] «السيرة النبوية» لابن كثير (ج١ ص١٩٩)، و«الروض الأنف» (ج١ ص٢٧٦)، و«مختصر سيرة الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص٣٣٤).

[٥] أبو قتادة الأنصاري: قيل اسمه الحارث بن ربعي بن بلدمة، وقيل عمرو، وقيل النعمان، السلمي، المدني (أمه: كبشة بنت مطهر): صحابي توفي (سنة ٥٤ هـــ) بالمدينة، وقيل : بالكوفة، رَوَى له: (البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه)، يراجع: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١ ص٤٤٠).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ يومَ الاثنين، واستُنْبِئَ يَوم الاثنين، وتُوُفِّيَ يَوم الاثنين»[٢].

وقال ابن حبان[٣]: وُلِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ الفيل يوم الاثنين، لاثنتي عَشْرَة لَيْلَةٍ مَضَت مِن شهر ربيع الأول[٤].

وقْتُ وِلَادَتِهِ ﷺ: قال ابنُ الجَوْزِيِّ[٥]: اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل[٦]، وسأل عبد الملك بن مروان رقبان بن أشيم الكناني: أنت أكبر أم رسول الله ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أسَنُّ مِنْهُ، وقد وُلِدَ رسولُ الله ﷺ عَامَ الفِيْل[٧].

وعن ابن شهاب[١] **قال**: بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى رَأسِ خَمْسَ عَشْرَة سنة من بُنْيَان الكعبة[٢].

---

[١] أخرجه مسلم كتاب: الصيام، باب: استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، رقم: [١١٦٢]، (ج٢ ص٨١٨).

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ)، رقم: [٢٥,٦]، (ج١ ص٢٧٧).

[٣] هو: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، البستي، نسبته إلى (بُست) في سجستان، تنقل في الأقطار في طلب العلم: محدث، مؤرخ، عالم بالط، ولي القضاء بسمرقند، من مصنفاته: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع المشهور بصحيح ابن حبان، وروضة العقلاء في الأدب توفي (سنة ٣٥٤ هـ)؛ يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٣,٦)؛ و«شذرات الذهب» (ج٣ ص١٦).

[٤] «السيرة» لابن حبان (ج١ ص٣٣).

[٥] ابن الجوزي هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرَج ، نسبته إلى محلة الجوز بالبصرة، كان بها أحد أجداده، قرشي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق: من أهل بغداد، حنبلي، علاّمة عصره في الفقه والتاريخ والحديث اشتهر بوعظه المؤثر، وكان الخليفة يحضر مجالسه، من تصانيفه : "تلبيس إبليس"؛ و"الضعفاء والمتروكين"؛ و"الموضوعات" توفي (سنة ٥٩٧ هـ). ترجمته في : «الذيل على طبقات الحنابلة» (ج ١ ص ٣٩٩ – ٤٢٣)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٤ ص٨٩)؛ و«البداية والنهاية» (ج١٣ ص٢٨).

[٦] «شرح النووي على مسلم» (ج١٥ ص ١٠٠).

[٧] «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ص١٠٠ – ١٠١)، و«البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦١).

وقال ابن المنذر[٣]: هذا وَهْمٌ، والذِي لا يَشُكُّ فيه أحَدٌ مِن علمائنا: أن رسول الله ﷺ وُلِدَ عَامَ الفيل.

وبُعِثَ على رأسِ أرْبَعينَ سنة من الفيل[٤]، وذُكِرَ مثلُه عن مُطْعِمِ بنِ جُبَيْر فيما نقله ابن كثير، حيث قال: ولد رسول الله ﷺ وكانت عُكاظ بعد الفيل بِخَمْس عشرة سنة، وبني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وهذا ما عليه أكثر العلماء[٥].

ليلة ولادته:

عن مَخْزُوم بن هانئ[٦] **عن أبيه قال**: لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها النبي ﷺ ارتَجَسَ إيوانُ كِسْرَى، وَسَقَطَت مِنْهُ أربع عشرة شرفة، وغاصت بُحَيْرَةُ سَاوَةَ، وَخَمَدت نَارُ فَارس؛ و لم تَخْمُد قَبْلَ ذلك بألف عام[٧]، ورَأى المُوبَذَان[١] إبِلاً صعابًا تَقُودُ خَيلاً عِرَابًا، وقد قَطَعَت دِجْلَة،

---

[١] الزهري هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب÷ من بني زهرة، من قريش، تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام، هو أول من دون الأحاديث النبوية، ودون معها فقه الصحابة، أخذ عن بعض الصحابة، توفي (سنة: ١٢٤ هـ). انظر: «تهذيب التهذيب» (ج٩ ص٤٤٥ – ٤٥١)؛ و«تذكرة الحفاظ» (ج١ ص١,٢)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٧ ص٣١٧).

[٢] «تاريخ الإسلام» (ج١ ص٣».

[٣] ابن المنذر : هو محمد بن إبراهيم بن المنذر: نيسابوري، من كبار الفقهاء المجتهدين، لم يكن يقلد أحدًا ؛ وعده الشيرازي في الشافعية، لقب بشيخ الحرم، أكثر تصانيفه في بيان اختلاف العلماء، توفي في سنة ٣١٩ هـ من تصانيفه : المبسوط في الفقه؛ والأوسط في السنن، والإجماع والاختلاف والإشراف على مذاهب أهل العلم، واختلاف العلماء. يراجع في ترجمته: «الأعلام» للزركلي «ج٦ ص٨٤)، و«تذكرة الحفاظ» (ج٣ ص٤ – ٥).

[٤] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص٧٩)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٦٣ – ٦٨).

[٥] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٢)، (صفة الصفوة» (ج١ ص٥٢)، «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٢٢٠).

[٦] مخزوم بن هانئ المخزومي: راوية أدرك الجاهلية وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة. «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٦ ص٥٢٤)، دار الجيل – بيروت، ط١، (١٤١٢ هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص١٤).

[٧] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٨)، و«سيرة ابن كثير» (ج١ ص٢١٥)، «سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص٣٥٤).

وانتشرت في بلادها، فأفزعه ذلك فلما أصبح لَبِسَ تَاجَه، وقَعَد على سَرِيرِه، وَجَمع وزراءه وقال:أتَدْرُون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا، فبينما هم كذلك وَرَدَ عليهم كتاب بخمود النيران، فازداد غمًا إلى غَمِّهِ، فقال الموْبَذَان: وأنا رأيت الليلة رؤيا، وقَصَّهَا، فقال الملك: «أي شيء يكون هذا يا موبذان»، قال: حَادِثٌ يَكُون مِن عند العرب[٢]، فكتب عن ذلك إلى النعمان بن المنذر يسأله عن قَصِّ رُؤياه، فأرسل النعمان إلى رجل يقال له سطيح، فقال لهم: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت[٣].

مكان ولادته ﷺ:

وَكَانَ مَوْلِدُه ﷺ بِمَكَّةَ حيثُ البيت الحرام، قال شيخ الإسلام ابنُ عبدِ الوَهَّاب: وكانت مَكَّةُ في الجاهلية لا يُقَرُّ فِيها ظلم، ولا يَبْغِي فيها أحد إلا أخْرِجَ، ولا يريدها ملك يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَها: إلا هَلَك، فكان فيها «حلف الفضول»، الذي عُقِدَ لنُصْرَة المظلوم، والذي قال فيه النبي ﷺ: «**كُلُّ حِلْفٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ لَم يَزِدْهُ الإسْلَامُ إلَّا شِدَّةً**»، ومقتضى «حلف الفضول»: أن بني هاشم، وبني المطلب، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مُرَّة تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، أو ممن دخلها إلا قاموا معه حتى تُرَدَّ إليه مظلمَتُه[٤].

وفيه قال الزبير بن عبد المطلب عم النبي ﷺ:

---

[١] المُوبَذانُ، بضم الميم وفتحِ الباءِ فَقيهُ الفُرْسِ، وحاكِمُ المَجوسِ، كالمُوبَذِ، ج المَوابِذَةُ، والهاءُ للعُجْمَةِ. يراجع: «القاموس المحيط» (ج١ ص٣٤٣).

[٢] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٨)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٥٩)، و«الوفا بأحوال المصطفي» (ج١ ص١٦٨).

[٣] ذَكَرَها ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٩)، وانظر: «الفائق في غريب الحديث والأثر» (ج١ ص١٦)، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٦٥)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٩)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (ج١ ص٢٣).

[٤] «مختصر سيرة الرسول» لابن عبد الوهاب (ص٢٤ ص٢٥)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج٢ ص٤٠).

إنّ الْفُضُولَ تَحَالَفُوا، وَتَعَاقَدُوا *** أَلّا يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكّةَ ظَالِمُ

أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا، وَتَوَاثَقُوا *** فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ[1]

ووجه الخصوصية والإعجاز في ذلك: أنها فِعْلُ الله تعالى ولَم يُعْطِها لأحد إلا للنبي ﷺ؛ لإظهار عِظَمِ مَكانَتِه ﷺ مِن بَيْنِ المرسلين وعلى الخلق أجمعين.

٣) من خَصَائِصِهِ ﷺ التَّسْمِيَةُ بِـــ«مُحَمَّد»:

ووجه الخصوصية فيه أن: العَرَب لَم تَعْرِف التَّسْمِيَة بهذا الاسم قبلاً؛ ولذا سُئِلَ عبد المطلب: لِمَ رَغِبْتَ عَن أسماء آبائك؟ فأجاب: أرَدْتُ أنْ يَحْمَدَه الله تعالى في السماء، وخَلْقَهُ فِي الأرض.

وكانت تسميتُه بـــ«مُحَمَّدٍ» ثَمَرَةً لرؤيا رآها،كأن سلسلة خرجت من ظهره ... كما ســـبق، ولما قَصَّها على المُعَبِّرِينَ قالوا له: إنه سوف يُولَدُ لَك مَولُود يَتْبَعُهُ أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض.

وقد رأت السيدة آمنة – كما سبق – مَن يقول لها: «سَمِّهِ مُحَمدًا».

وعن أبي موسى الأشعري[2] رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أسْمَاءَ فقال: «**أنَـــا مُحَمَّدٌ، وَأحْمَدُ، وَالْمُقَفَّي، وَالحَاشِرُ، ونَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[3].

---

[1] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٦٣)، «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٦٤)، و«الروض الأنف» (ج١ ص٦٤).

[2] هو: عبد الله بن قيس بن سليم، من الأشعريين، ومن أهل زبيد باليمن . صحابي من الشجعان الفاتحين الولاة . قدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى الحبشة، واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـــ، فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان أقره عليها، ثم ولاه الكوفة، وأقره علي، ثم عزله، ثم كان أحد الحكمين بين علي ومعاوية، وبعد التحكيم رجع إلى الكوفة وتوفي بها سنة: ٤٤ هـــ. انظر: «الأعلام» للزركلي (ج٤ ص٢٥٤)؛ و«غاية النهاية» (ج١ ص٤٤٢).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم: [٢٣٥٥]، (ج٤ ص١٨٢٨).

ولم يُسَمَّ بِهِ أحَدٌ مِن العرب ولا غيرهم إلى أن شَاع قُبَيْلَ وجوده ﷺ وميلاده أن نبياً يبعث اسمه «مُحَمَّد»، فسَمَّى قَومٌ قَلِيلٌ مِن العرب أبناءهم بذلك، رجاءَ أن يكون أحدُهُم هُوَ، والله أعلم حيثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِه، وهم:

١. محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي.

٢. محمد بن مسلمة الأنصاري ٠

٣. محمد بن براء البكري٠

٤. محمد بن سفيان بن مجاشع٠

٥. محمد بن حمران الجعفي.

٦. محمد بن خزاعي السلمي، لا سَابِعَ لَهُم[١]، ويقال: أوَّل مَن تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ، هو: مُحَمَّد بنُ سفيان، واليمن تقول: بَل محمد بن اليحمد من الأزد.

ووجه الإعجاز هنا أن: الله حَمَى كُلَّ مَن تسمى بهذا الاسم أن يَدَّعِي النبوة أو يَدَّعِيَها أحد لَهُ، أو يَظْهَرَ عليه سَبَبٌ يَشُكُّ أحَدٌ فِي أمْرِه حتَّى تَحَقَّقَت السِّمَتَانِ لَهُ ﷺ، وَلَم يُنَازَع فيهِمَا[٢].

٤) مِن خَصَائِصِه ﷺ أنَّ الله أرْسَلَهُ بِالقرآن الكريم.

القرآنُ الكَرِيمُ هُو كلام رب العالمين، نزل به الروح الآمين على النبي المصطفى الأمين، ففاق بذلك النبيين بما وصفه الله به في قوله ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) ﴾[٣]، ولا خلاف في أنَّ القُرآنَ مُعْجِزَةُ سيدنا محمد عليه

---

[١] «غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج ١ ص ٦٦)، و«زاد المعاد» (ج١ ص٨٤)، و«صفوة الصفوة» (ج١ ص٥٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٢٢١).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٢٣١)، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٦٥).

[٣] سورة التكوير، الآيات: (١٩ : ٢٤).

السلام، والقرآن أوَّل مُعْجِزَة دعا به محمد ﷺ إلى نبوته، فَصَدَع فيه برسالته، وخصه الله بإعجازه من بين جميع رسله، وإن كان كلامًا ملفوظًا، وقولاً محفوظًا؛ لأسباب صار بها من أخص إعجازه، وأظهر آياته، وأعظم معجزاته، وأخص خصوصياته، ووجوه إعجازه لا حصر لها، ومنها مايلي:

أحدها: أَنَّهُ كِتَابٌ مُعْجِزٌ؛ بخلاف سائر كتب الأنبياء ومَحْفُوظ عن التحريف والتبديل، وأقِيم بعده حجة على الناس، ومعجزاتُ سائر الأنبياء انقرضت بانقراضهم[1].

ثانيها: أن معجزة كُلِّ رِسُول موافقة للأغلب مِن أحوال عصره، والشائع المنتشر في ناس دهره؛ لأن موسى عليه السلام حين بُعِثَ فِي عصر السحرة: خُصَّ بِفَلْقِ البَحْرِ يَبَسًا، وقَلْبِ العَصَا حَيَّة، فبَهَر كُلَّ ساحِرٍ، وأذَلَّ كُلَّ كَافِرٍ، وبُعِثَ عيسى عليه السلام في عصر الطب، فخُصَّ بإبراء المرضي، وإحياء الموتى بما أدهش كل طبيب، وأذهل كل لبيب، ولما بعث محمد ﷺ في عصر الفَصَاحَة والبلاغة: خُصَّ بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء، وتبلد فيه الشعراء؛ ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر، فصارت معجزاتهم – وإن اختلفَت – متشاكلة المعاني متفقة العلل[2].

ثالثها: أن المُعْجِزَ في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم، وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة وغباوة؛ لأنه لم ينقل عنهم ما يدون من كلام مستحسن، أو يستفاد من معنى مبتكر، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم: {اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَة}، فظنوا أن الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم، والعرب أصَحُّ الناس أفهامًا وأحدّهم أذهانًا، قد ابْتَكَرُوا من الفصاحة أبْلَغَها، ومن المعاني أغْرَبَها، ومن الآداب أحْسَنها، فخصوا من معجز القرآن بما تحول فيه أفهامهم وتَصِلُ إليه أذهانهم، فيدركوه بالفطنة دون البديهة، وبالرَّوِيَّةِ دون البادرة؛ لتكون كُلُّ أمة مخصوصة بما يوافِق فَهْمَهَا.

---

[1] «غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣) لأبي حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن، ط: دار النشر، دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٦).

رابعها: أن معجزة القرآن باقية على مَمَرِّ الدهر، ولا تختص بوقت دون وقت، ولا قُطْرٍ دُونَ قُطْرٍ، فوجه الإعجاز فيه أظهر وأكمل من معجزات الأنبياء جميعًا، ويتناسب مع شرف الرسالة الخاتمة، وأبديتها، وعمومها وعِظَمِ مكانة الرسول الكريم ﷺ[1]، وإعْجَازُ القرآن في خروجه عن كلام البشر، وإضافته إلى الله تعالى يكون **من وجوه متعددة من أهمها ما يلي:**

فمن إعجازه: فصاحته وبيانه، ويتحقق ذلك ببلاغة ألفاظه، واستيفاء معانيه، وحسن نظمه.

ومن إعجازه: إيجازُه عن هذا الإكثار، واستيفاء معانيه في قليل الكلام كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وحُكِيَ عن الوليد بن المغيرة – وكان سَيِّدَ عشيرته وأفْصَحَ قَوْمِه – أنه جاء إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وهو عَلَى كُفْرِه، فقال: اقرؤوا عليّ شيئًا من القرآن، فقرؤوا عليه، فقال: «لَيْسَ هَذَا مِن كَلَامِ البَشَرِ، وَلَيْسَ بِشِعْرٍ» فمَضى إليه أبو لهب قال: أفسدت قريشًا بهذا القول فارجع عنه، فقال: أقول إنه سِحْرٌ[3].

ومن إعجازه: كثرة معانيه التي لا يجمعها كلام البشر.

ومن إعجازه: ما جَمَعَهُ القرآن مِن عُلُوم لا يُحِيْطُ بِها بَشَر، ولا تجتمع في مخلوق، فلم يكن إلا من عند الله المحيط بكل شيء علمًا، حتى عَلِمَهُ مَن لَم يَكُن به عالمًا.

ومن إعجازه: ما تَضَمَّنَهُ مِن الحُجَجِ والبراهين على التوحيد والرَّجْعَة، وعلى الدهرية، والثَنَوِيَّةِ حتى قطع بحجاجِهِ كُلَّ مُحْتَجّ، وخَصَمَ بِجَدَلِهِ لَهُ كُلَّ خَصْمٍ أَلَدّ[4].

---

[1] «غاية السول في خصائص الرسول» (ج١ ص٦٦).

[2] سورة هود، آية: (٤٤).

[3] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٦)، «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[4] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

ومن إعجازه: ما تَضَمَّنَهُ مِن أخْبَار القُرُونِ الخَالِيَة وقَصَصِ الأمَمِ السَّالِفَة وتَحَدَّاهُ بِه أهْلُ الكتاب مِن قِصَّةِ أهل الكهف، وشأن موسى والخضر، وحديث ذي القرنين، فكان على ما ذَكَرَهُ أنبياؤهم، وتضمنته كتبهم.

ومن إعجازه: ما تَضَمَّنَهُ من عِلْمِ الغيب بأخْبَارٍ تَكُونُ فَكَانَت، كَقَوْلِه لليهود: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [1].

ثم قال: ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[2]، فَما تَمَنَّاهُ أحَدٌ منهم، وكقوله لقريش: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾ [3]، فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا، أو كقوله: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ [4]، وكان ذلك في يوم بَدْر، وكقوله تعالى في هجرته مِن مَكة إلى المدينة ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾[5]، فأعاده الله إلى مكة عام الفتح، إلى غير ذلك من نظائره[6].

ومِن إعْجَازِه: ما فيه مِن الإخبار بضمائر القلوب التي لا يصل إليها إلا عَلَّام الغيوب، كقوله تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ [7]، مِن غير أن يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل، وكقوله: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ [8].

ومن إعجازه: أن تلاوته تَخْتَصُّ بخمسة أشياء لا توجد في غيره:

---

[1] سورة البقرة، آية: (٩٤).

[2] سورة البقرة آية: (٩٥).

[3] سورة البقرة آية: (٢٤).

[4] سورة القمر آية: (٤٥).

[5] سورة القصص آية: (٨٥).

[6] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

[7] سورة آل عمران آية: (١٢٢).

[8] سورة الأنفال آية: (٧).

أحدها: سهولة مخرجه.

والثاني: بهجة رونقه.

والثالث: سلالة نظمه.

والرابع: حسن قبوله.

والخامس:أن قارئه لا يَكَلُّ، وسامِعَهُ لا يَمَلُّ، وهذا في غيره من الكلام معدوم.

ومن إعجازه: أنه مَنْقول بألفاظه ومعانية المترلة على نَظْمِه، وأداه الرسول إلى الأمة بِمِثْلِه، فلم يَنْخَرِم فيه لفظ، ولا اختل فيه معنى، ولا تغير له ترتيب، حتى صار من الزلل مضبوطًا، ومن التبديل محفوظًا، وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

فإنَّ التَّوْرَاة: ألقى الله تعالى معانيها إلى موسى عليه السلام، فذكرها بلفظه وعَبَّرَ عنها بكلامه[2].

وأما الإنجيل فهو: ما أخبر به عيسى عليه السلام عن ربه، وعن نفسه، فجَمَعَهُ تلامِذَتُه بألفاظهم، وجعلوه كتابًا متلوًا.

وأما الزبور: فأدْعِيَةٌ بِتَحَامِيْدَ وتسابيح، تُنْسَبُ إلى داود عن لفظه.

ولئن كانت معاني هذه الكتب مضافة إلى الله تعالى: فليست بصيغة لفظه، ولا على نظم كلامه، كما نزل القرآن جامعًا لألفاظه ومعانيه وترتيبه، فصار مباينًا لجميع كتبه، وما هذا إلا بمعونة إلهية حفظ الله تعالى بها إعجازه، وأمد بها رسوله، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[3].

---

[1] سورة الحجر آية: (٩).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

[3] سورة الحجر آية: (٩).

ومن إعْجَازِه: تَيْسِيْرُه على جميع الألسنة حتى سَهُلَ حِفْظُه على الأعجمي الأبْكَم، ولا يُحْفَظُ غيره من الكتب كحفظه، ولا تَجْرِي به ألسنة البُكْمِ كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية فضله الله بها على سائر كتبه[1].

ومنها: العَجْزُ عَن المعارضة، ولو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة، ولَمَا احتاجوا معه إلى القتال والمحاربة، مع بَذْلِ النفوس، واستِهْلَاك الأموال، ولَدَفَعُوه بالأهْوَن دون الأصعب، وقد نقل ما عورض به فظهر فيه العجز، وبان فيه النقص، حتى فضحته ركاكة لفظه، وسخافة نظمه، وفيما يلي **نماذج من المعارضات السخيفة التي ظن أهلها أنهم بها يعارضون القرآن الكريم:**

١. حَكَى ابنُ قتيبة[2] عن مُسَيْلِمَة أنه قال في معارضة القرآن: يا ضِفْدَع نُقِّي كَمَا تَنُقِّين، لا الماء تُكَدِّرين، ولا الشراب تَمْنَعِين، فلما سمع هذا أبو بكر ﷺ قال: إن هذا الكلام لَم يَخْرُج مِن إلٍّ[3].

٢. وحُكِيَ عن غيره – وأحسَبُه العَنْسِي – أنه قال: ألم تر كيف فعل ربك بالحُبْلَى، أخْرَجَ من بَطْنِها نَسَمَةً تَسْعَى، مِن بَيْنِ شَرَاسِيْفَ وَحَشَى[4].

٣. وحُكِيَ عَن آخَر: الفِيْلُ مَا الفِيل، لَه ذَنَبٌ وَثِيل، ومِشْفَرٌ طَويل، فإن ذلك من خلق ربنا لقليل[5].

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[2] ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد، الدينوري . من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والأخبار . سكن بغداد وحدث بها وولي قضاء دينور توفي سنة ٢٧٦ هـ. من تصانيفه : تأويل مختلف الحديث، الإمامة والسياسة، ومشكل القرآن، والمشتبه من الحديث والقرآن. ترجمته في: «شذرات الذهب» (ج٢ ص١٦٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (ج٢ ص٢٨١)، و«الأعلام» (ج٤ ص٢٨).

[3] «تاريخ الطبري» (ج٢ ص٢٧٦)، و«السيرة» لابن حبان (ج١ ص٤٣)، و«الروض الأنف» (ج١ ص٤٢٧).
والإلُّ: الأصل الجيد، والمنشأ الطيب.

[4] «محمد رسول الله» (ج١ ص٦,٤).

[5] «البداية والنهاية» (ج٦ ص٣٢٦)، و«محمد رسول الله» (ج١ ص٦,٤).

٤. وعن عكرمة[١] أن النضر بن الحارث – وكان من فصحاء قريش – عارض القرآن فقال: والزارعات زرعا، والحاصدات حصدًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا فاللاقمات لقما[٢].

٥- وقال أخر: قد أفلح من هينم في صلاته، وأطعم المساكين مِن مِخْلَاته، وأخرج الواجب من زكاته[٣].

٦- وقال آخر: في معارضة سورة النجم: والنجم إذا سَما، والبحر إذا طَما، ما زاغ مُنْذِرُكُم وما طغى، وما كذب بها وغوى، فيما نطق بِه وَرَوَى، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[٤]، فهذه المعارضة قد احتذوا فيها مثالاً أتوا بسقيم الكلام دون سليمه، وبسخيفه دون جميله، وقاسوا الدر بالمَدَر، وشاكلوا بين الصَّفْوِ والكَدَر، فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها، صح أن يكون كل واحد منها معجزاً، فإذا جمع القرآن سائرها، كان إعجازه أقهر وحجاجه أظهر، وصار كَفَلْقِ البحر، وإحياء الموتى؛ لأن مدار الحجة في المعجزة إيجاد ما لا يستطيع الخلق مثله، وكان بذلك أقوى المعجزات لأفضل الرسالات، وأشرف الرسل.

---

[١] هو: عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس. وقيل لم يزل عبدًا حتى مات ابن عباس وأعتق بعده . تابعي مفسر محدث . أمره ابن عباس بإفتاء الناس . أتى نجدة الحروري وأخذ عنه رأي الخوارج، ونشره بإفريقية . ثم عاد إلى المدينة . فطلبه أميرها، فاختفى حتى مات، واتهمه ابن عمر وغيره بالكذب على ابن عباس .توفي سنة ١,٥ هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي: (ج٥ ص٤٣)، و«المعارف» (ج٥ ص٢,١).

[٢] «تاريخ الطبري» (ج٢ ص٥,٦).

[٣] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

[٤] سورة الأنعام آية: (١٠٠)، ويراجع: «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٩).

٥) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية: ما أطْلَعَهُ الله عليه من الغيوب، وما يكون في المستقبل مما لا يحيط به أحد غيره[١].

مِن الخصائص الإعجازية لِخَيْر البرية ﷺ: أن الله أطلعه على أمور من الغيب بالنسبة للخلق لم يطلع عليها أحداً غيره؛ تشريفًا، وتفضيلاً له، وأخبر بها النبي على وجه التحدي، والإعجاز فكانت من معجزاته الباهرة، والأحاديث في هذا الباب بَحْرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُه، فهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، المروية بالتواتر؛ لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الإطْلَاع على الغيب، وهذا يعني أن الله خصه وأعطاه ما لَم يُعْطِ أحدًا من العالمين، وهذه الخصيصة تشتمل على كثير من أنواع الخصائص المتعددة، والتي ربما لا حصر لها، فتعد كل واحدة مما عبر عنها الرسول الأكرم على حدة: واحدة من الخصائص المحمدية، ومعجزة من المعجزات النبوية، فوجه الخصوص فيها واضح، وفي كثرتها وشموليتها بيان ظاهر في عظيم المنزلة، وشريف المكانة.

ومن ذلك ما يلي:

١- عن حذيفة [٢] رضي الله عنه، قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ»، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[٣].

---

[١] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٣٥)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[٢] هو: حذيفة بن اليمان واليمان لقبه أبو عبد الله العبسي . من كبار الصحابة، وصاحب سر رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأرادا شهود بدر فصدهما المشركون، وشهد أحدًا فاستشهد اليمان بها . شهد حذيفة الخندق وما بعدها، كما شهد فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة . استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد بيعة علي بأربعين يومًا .روى عن النبي ﷺ الكثير توفي سنة٣٦ هـ. ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٢١٩)، و«الإصابة (ج١ ص٣١).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم: [٢٨٩١] (ج٤ ص٢٢١٦).

ثم قال حذيفة ﷺ: ما أدْرِي، أَنَسِيَ أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائِدِ فِتْنَةٍ إلى أن تَنْقَضِي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا: إلا قَد سَمَّاهُ لنا باسمه، واسْمِ أبيه، وقبيلته[1].

وقال أبو ذر[2] ﷺ: «لَقَد تَرَكَنا رَسُول الله ﷺ وما يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السماء، إلا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا»[3].

٢ – وعن أم حبيبة[4] بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»[5].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ**

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائله، رقم: [٤٢٤٣] (ج٢ ص٤٩٦).

[2] أبو ذر هو جندب بن جُنَاده بن قيس، من كبار الصحابة، مدحه النبي ﷺ بقوله : «**مَا أَظَلَّت الخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّت الغَبْرَاءُ أَصدَقَ لَهْجَةً مِن أبِي ذَرٍّ**». اعترض على معاوية ثم على عثمان في أشياء فنفاه عثمان من المدينة إلى الرَّبذة، فمات بها وصلى عليه ابن مسعود. ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج١٢ ص٩١).

[3] أخرجه أحمد، مسند البصريين حديث المشايخ عن أبي بن كعب ﷺ، رقم: [٢١٣٩٩] (ج٥ ص١٥٣).

[4] هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية . تكنى أم حبيبة . إحدى أمهات المؤمنين، كانت من السابقين إلى الإسلام، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فولدت هناك حبيبة، فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة نصرانيًا وبقيت أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فأرسل رسول الله ﷺ يخطبها إلى النجاشي فتزوجها وهي بالحبشة روت عن النبي ﷺ أحاديث وروت عنها بنتها حبيبة وأخواها معاوية وعتبة توفيت (سنة: ٤٦). ترجمتها في: «الإصابة» (ج٤ ص٣)، و«أسد الغابة» (ج٥ ص٥٧٣).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء – باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم: [٣١٦٨]، (ج٣ ص١٢٢١)، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: [٢٨٨٠].

لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].

وكان كذلك، امتدت في المشارق والمغارب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك.

٣- وقال ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**»[2].

٤- وعن عمير بن هانئ [3] أنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»[4].

٥ – وقال ﷺ في حَنْظَلَة الغَسِيْل: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ**»، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَذَاكَ قَدْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[1]، قال أبو سعيد ﷺ: وَوَجَدْنَا رَأْسَهُ يَقْطُر مَاءً[2].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض رقم: [٢٨٨٩]، (ج٤ ص٢٢١٥).

[2] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: [٣٤١٣] (ج٣ ص١٣٢٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا توجه المسلمان بسيفيهما، وباب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم: [١٥٧].

[3] عمير بن هانئ العنسى أبو الوليد أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ وعمر طويلا، وكان قد ولاه عمر بن عبد العزيز على الثنية والحوران، وبقى إلى أن قتله السفر بن حبيب المري سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وكان عمير بن هانئ يصلي كل يوم ألف سجدة، ويسبح مائة ألف تسبيحة. يراجع: «ثقات ابن حبان» (ج٥ ص٢٥٥)، و«مشاهير علماء الأمصار» (ج١ ص١٨١)، و«تهذيب التهذيب» (ج٨ ص١٣٤).

[4] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم: [٣٤٤١] (ج٣ ص١٣٣١).

٦- وقال ﷺ: «**الخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ**»، و«**لَا يَزَالُ هَذا الأمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُم اثْنَانِ**»[٣].

٧- وقال ﷺ: «**إنَّ هَذَا الأمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوْضًا، ثُمَّ يَكُونُ عُتُوًّا وَجَبَرُوتًا وَفَسَادًا فِي الأمَّةِ**»[٤].

٨- وأخبر ﷺ بِأَنَّهُ سَيكون في أمَّتِه ثَلاثُونَ كاذبًا فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: «**ثَلَاثُونَ دَجَّالاً كَذَّابًا، آخِرُهُم الدَّجَّالُ الكَذَّابُ: كُلُّهُم يَكْذِبُ عَلى اللهِ وَرَسُوْلِهِ**»[٥].

٩- وقال ﷺ : «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»[٦].

١٠- وقال ﷺ: «**هَلَاكُ أمَّتِي عَلَى يَدَي أُغَيْلِمَةٍ مِن قُرَيْشٍ**»[٧].

١١- وقال ﷺ لِقَوْمٍ مِن جُلَسَائِه: «**ضِرْسُ أحَدِكُم فِي النَّارِ أعْظَمُ مِن أحُدٍ**»، قال أبو هريرةرضي الله عنه: فذهب القوم - يعني ماتوا - وبقيت أنا ورجل، فَقُتِلَ مُرْتَدًا يوم اليمامة[١].

---

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، رقم (٧,٢٥) (ج١٥ ص٤٩٥)، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

[٢] «التحقيق في أحاديث الخلاف»، مسألة: يكره أن يكفن الميت في قميص وعمامة، وقال أبو حنيفة: يستحب ذلك، رقم (٨٧٣) (ج ٢ ص١)، وانظر: «السيرة» لابن هشام (ج٣ ص٢)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٣).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، رقم (٣٣١٠) (ج ٣ ص١٢٨٥)، وأخرجه مسلم في الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، رقم: (١٨٢٠)، و(لا يزال): يبقى ويستمر، (الأمر): الخلافة.

[٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» رقم: (٥٢٢٨) (ج٧ ص ٤٢٢).

[٥] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: (٩٨١٧) (ج٢ ص ٤٥٠)، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن.

[٦] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم: (٦,٦٤) (ج ٥ ص٢٣٦٢)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥) (ج٤ ص١٩٦٤).

[٧] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤١٠) (ج٣ ص١٣١٩).

١٢- وأخْبَرَ ﷺ أنَّ أسْرَعَ أزْوَاجِه بِه لُحُوقًا أطولُهُن يَدًا، فكانت زَيْنَب لِطُولِ يَدِهَا بالصَّدَقَة[٢].

١٣- وقال في الذين كانوا معه على أحد - أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - فَرَجَفَ بِهِم: «**اثْبُت أُحُد فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيْدَانِ**»[٣] فَاسْتُشْهِدَ عُمَرُ وعثمان.

١٤- وقال ﷺ لسُرَاقَةَ[٤]: «**كَيْفَ بِكَ إذَا أُلْبِسْتَ سِوَارَي كِسْرَى؟**» وذلك عندما رأى ذراعي سراقة بن مالك بن جعشم دقيقين أشعرين، فقال: «**كَيْفَ بِكَ إذَا أُلْبِسْتَ بَعْدِي سِوَارَيْ كِسْرَى**»، فلما فُتِحَت فارس دَعَاهُ عمر وألبسه سواري كسرى، وقال له: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألسبهما سراقة بن جعشم[٥].

١٥- وإعْلَامُه ﷺ قريشًا أن الأرَضَةَ تَأكُلُ مَا فِي صَحِيْفَتِهِم التي تَظَاهَرُوا بِها عَلى بَنِي هاشِمٍ، وقَطَعُوا بِها رَحِمَهُم، وأنها أبْقَت فِيها اسْمَ اللهِ، فَوَجَدُوهَا كَمَا قَال[٦].

١٦- ما أخبر به ﷺ من الحوادث التي تكون و لم يأت بعد، منها ما ظهرت مقدماتها، كقوله: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**»[١].

---

[١] تخريج أحاديث الإحياء، كتاب الأمر بالمعروف، بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه، رقم: (٩)، (ج٢ ص ٣٢٧)، إحياء علوم الدين، بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه، (ج٢ ص٣٨٥).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، رقم: (١٣٥٤) (ج٢، ص ٥١٥)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها رقم: (٢٤٥٢)، (ج٤ ص ١٩,٧).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذا خليلا»، رقم (٣٤٧٢) (ج٣ ص١٣٤٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الإخدود والساحر والراهب والغلام، رقم: (٥٠٠٣) (ج٤ ص٢٢٩٩).

[٤] هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم، أبو سفيان، المدلجي : الكناني، صحابي، من مشاهير الصحابة، له في كتب الحديث ١٩ حديثا، وكان في الجاهلية قائفا في اقتصاص الأثر وإصابة الفراسة، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ، مات في صدر خلافة عثمان سنة ٢٤، وقيل: إنه مات بعد عثمان رضي الله عنه. «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٤٥٦)، و«الأعلام» (ج٣ ص١٢٦).

[٥] «البداية والنهاية» (ج٧ ص٦٨)، «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٤٤)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[٦] «صفة الصفوة» ذكر طرف من معجزاته ﷺ، (ج١ ص٩٩).

١٧- ومِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ وآيَاتِ حُلُولِهَا، وذِكْرِ النَّشْرِ وَالحَشْرِ، وأخْبَارِ الأبْرَارِ والفُجَّارِ، والجَنَّةِ والنَّارِ، وعَرَصَاتِ القِيَامَةِ[٢].

١٨- ومما خَصَّهُ الله تعالى به: مَا أعْلَمَهُ به مِن أهْلِ الجَنَّةِ، وَأهْلِ النَّارِ إلى يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص[٣] ﷺ قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟**» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «**فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**»[٤].

١٩- وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ بِمَارِيَة القِبْطِيَّةِ في بيت حفصة بنت عمر، فَوَجَدَتْهَا مَعَهُ تُضَاحِكُهُ، فقالت: يا رسول الله فِي بَيْتِي مِن دُونِ بُيُوتِ نِسَائِكَ، قال:

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، رقم (٤٢٩٤) (ج٢ ص٥١٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، رقم: (٢٢,٧٦)، (ج٥ ص٢٣٢).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٤٦)، و«القضاء والقدر» د. عمر سليمان الأشقر، (ص: ٤١ – ٤٢)، ط: دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩. م.

[٣] هو عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو محمد: صحابي قرشي، أسلم قبل أبيه، قال فيهم رسول الله ﷺ: «**نِعْمَ أَهْلُ البَيْتِ عَبْدُ الله وَأَبُو عَبْدِ اللهِ وَأُمُّ عَبْدِ اللهِ**»، كان مجتهدًا في العبادة غزير العلم، وكان أكثر الصحابة حديثًا ، وروى عن عمر وأبي الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة، وحدث عنه بعض الصحابة وعدد كثير من التابعين، استأذن النبي ﷺ في كتابة ما كان يسمعه منه فأذن له، فكتب، وكان يسمي صحيفته تلك الصادقة توفي (سنة: ٦٥ هـ). ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٤ ج ص٨)، و«الإصابة» (ج٢ ص٣٥١)، و«تهذيب التهذيب» (ج٥ ص٣٣٧).

[٤] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار، رقم (٢١٤١)، (ج٤ ص٤٤٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

«**فَإِنَّهَا عَلَيَّ حَرَامٌ أنْ أمَسَّهَا**»، ثم قال لها: «**يَا حَفْصَةُ أَلَا أَبَشِّرُكِ؟**» قالت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: «**يَلِي هَذا الأمْرَ مِنْ بَعْدِي أَبُو بَكْرٍ، اكْتُمِي هَذَا عَلَيَّ**»، فخرجت حتى دخلت على عائشة، فقالت: لها ألا أَبَشِّرُكِ يا ابْنَةَ أبي بكر قالت: بماذا فذكرت ذلك لها، وقالت قد استَكْتَمَنِي فاكتُمِيْهِ[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآيات[2].

٢٠- وما رواه معاذ بن جبل[3] ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فخرج معي يُوْصِيْنِي، فلما فرغ قال: «يَا مُعَاذ، إِنَّكَ عَسَى أنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ هَذَا، وَلَعَلَّكَ تَمُرُّ بِمَسْجِدِي وَمِنْبَرِي»، فبَكَى مُعَاذ، ثم التفت رسول الله ﷺ، فأقبل بوجهه نحو المدينة، وقال: «**إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُم أَوْلَى النَّاسِ بِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي: الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا - أو: حَيْثُ كَانُوا - اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أُحِلُّ لَهُم فَسَادَ مَا أَصْلَحْت**»[4].

٢١- وما رواه جابر بن عبد الله[5] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيْدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُر إِلَى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ**»[6].

---

[1] أخرجه الطبراني في «الأوسط»، رقم: (٢٣١٦)، (ج٣ ١٣).

[2] سورة التحريم آية: (١).

[3] هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن . صحابي جليل . إمام الفقهاء . وأعلم الأمة بالحلال والحرام . أسلم وعمره ثماني عشرة سنة . شهد بيعة العقبة، ثم شهد بدرا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ جمع القرآن على عهد الرسول ﷺ، وكان من الذين يفتون في ذلك العهد، بعثه النبي ﷺ بعد غزوة تبوك قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن، توفي (سنة: ١٨هـ) يراجع: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣ج ص٤٢٦)؛ و«الأعلام» (ج٨ ص١٦٦).

[4] أخرجه ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الخوف والتقوى، رقم: (٦٤٧) (ج٢ ص٤١٤).

[5] هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام: أنصاري، سلمي صحابي؛ شهد بيعة العقبة . وغزا مع النبي ﷺ غزوة . أحد المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة بالمسجد النبوي ويؤخذ عنه فيها العلم، كف بصره قبل موته بالمدينة (سنة: ٧٨ هـ). ترجمته في: «الإصابة»(ج١ ص٢١٤)، و«الأعلام» للزركلي (ج٢ ص٩٢).

[6] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب طلحة بن عبيد الله ﷺ، رقم: (٣٧٣٩)، (ج٥ ص٦٤٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل طلحة بن عبيد الله ﷺ، رقم: (١٢٥)، (ج١ ص٤٦).

٢٢- ما رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قال لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: «**إِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقاً بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»، فكانت أَوَّلَ مَن مَاتَ بَعْدَهُ مِن أهل بيته ﷺ[١].

٢٣- ومِنْ إِنْذَارِهِ[٢] ﷺ: ما رواه ثابت، عن الحسن البصري[٣] قال: كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يَجِيءُ ورسول الله ﷺ ساجِدٌ فيَجْلِسُ عَلَى عُنُقِهِ، فإذا أراد أن يرفع رأسه أخَذَهُ فَوَضَعَهُ في حِجْرِه، ثم قال: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِه بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِيْنَ**»[٤].

٢٤- وأخبر بِمُلْكِ بني أمية [٥]، وولاية معاوية، وَوَصَّاهُ، وذلك فيما رواه عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية رضي الله عنه، والله ما حَمَلَنِي على الخلافة إلا قول النبي ﷺ لي: «**يَا مُعَاوِيَةَ إِنْ وَلِيْتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللهَ وَاعْدِلْ**»[٦].

وأخبر باتخاذ بَنِي أمية مَال الله دُوَلًا، وَخُرُوجِ وَلَدِ العَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّود، ومُلْكِهِم أضعاف ما ملكوا، وخُرُوج المهدي، وما ينال أهل بيته، وتقتيلهم وتشريدهم، وقتل علي، وأن أشقاها الذي يَخْضِبُ هذه مِن هذه، أي: لِحْيَتَهُ مِن رأسه، وأنه قَسِيمُ النار، يُدْخِلُ أولياؤَه النار، فكان فيمن عاداه الخوارج والنَّاصِبَة، وطائفة ممن يُنْسَبُ إليه من الروافض كفروه[٧].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤٢٧) (ج٣ ص١٣٢٦).

[٢] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٣).

[٣] الحسن البصري هو الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان أبوه يسار من سبي ميسان، مولى لبعض الأنصار . ولد بالمدينة وكانت أمه ترضع لأم سلمة . رأى بعض الصحابة، وسمع من قليل منهم، كان شجاعا، جميلا، ناسكا، فصيحا، عالما، شهد له أنس بن مالك وغيره كان إمام أهل البصرة توفي (سنة: ١١٠ هـ). يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٢٤٢- ٢٧١)، و«الأعلام» (ج٢ ص٢٤٢).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما، رقم (٢٥٥٧) (ج٢ ص٩٦٢).

[٥] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٢).

[٦] أخرجه أبو يعلي في مسنده، حديث ميمونة زوج النبي ﷺ، رقم (٧٣٨٠) (ج١٣ ص٣,٥).

[٧] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٣٩)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

٢٥ - إخْبَارُ النَّبِيِّ عَن اتساع مُلك المسلمين: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وإنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُها مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[١]، فَصَدَّقَ اللهُ خَبَرَهُ، وحقق ما ذكره، وملَّكَ أُمَّتَهُ أَقْطَارَ الأَرْضِ حتى دَان له بِشَرْعِهِ مَن فِي المشرق والمغرب[٢].

٢٦- إخباره بفتح المدائن كما في قوله ﷺ لعدي بن حاتم: «**لَا يَمْنَعَك مِنْ هَذَا الدِّيْنِ مَا تَرَى مِن جَهْدِ أَهْلِهِ، وضَعْفِ أصْحَابِهِ، فَلَكَأَنَّهُم بِبَيْضَاءَ المَدَائِنِ قَدْ فُتِحَت عَلَيْهِم، وَلَكَأَنَّهُم بِالظَّعِيْنَةِ تَخْرُجُ مِن الحِيْرَةِ حَتَّى تَأتِيَ مَكَّةَ بِغَيْرِ خِفَارَةٍ، لا تَخَافُ إلَّا اللهَ**»، فَأَبْصَرَ عَدِيٌّ ذَلِكَ كلَّه. وهذا لا يكون إلا مِن إطْلَاعِ الله تعالى عَلَى غَيْبِهِ وتَحْقِيْقِهِ لِوَعْدِهِ في قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [٣].

٢٧- إخْبَارُه عَن فَتْحِ الشَّامِ وفَارِس واليَمَن فيما رواه البراء بن عازب[٤] ﷺ قال: «أمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِحَفْرِ الخندق فعَرَضَت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيها المِعْوَلُ، فأخذ المِعْوَلَ وقال: «**بِسْمِ اللهِ**»، وضَرَب ضَرْبَةً فكسر ثلثها، وقال: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ الشَّامِ**»، ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثاً آخر وقال: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ فَارِس**»، ثم ضَرَب الثالثة فقطه بقية الحجر، وقال: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ اليَمَنِ**»، فَصَدَّقَ الله قَوْلَهُ وَأَعْطَاهُ ما فَتَحَ لَه[٥].

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة، رقم: (٢٨٨٩) (ج٤ ص٢٢١٥).

[٢] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٣)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوى (ج١ ص٦).

[٣] سورة الصف آية: (٩).

[٤] هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، أبو عمارة، الخزرجي الأنصاري . قائد صحابي، من أصحاب الفتوح . أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وبلال وغيرهم ﷺ، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة: ٢٤، روى له البخاري ومسلم ٣,٥ أحاديث، توفي سنة ٧١ هـ. ترجمته في: «الإصابة» (ج١ ص١٤٢)، و«تهذيب التهذيب» (ج١ ص٤٢٥)، و«الأعلام» (ج٢ ص١٤).

[٥] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث البراء بن عازب ﷺ، رقم: (١٨٧١٦) (ج٤ ص٣,٣)، وهو في: مسند أبي يعلى، مسند البراء بن عازب، رقم: (١٦٨٥)، (ج٣ ص ٢٤٤).

٢٨- إخْبَارُه بِفَتْحِ مِصْرَ: روى كعب بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا فُتِحَت مِصْرُ فَاسْتَوْصُوا بِالقِبْطِ خَيْرًا فَإِنَّ لَهُم رَحِمًا وَذِمَّةً**»[١]، يعني: أن أم إسماعيل بن إبراهيم كانت منهم.

٢٩- وما رواه أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ في اليوم الذي مات فيه، وخَرَجَ إلى المصلى فصَفَّ بِهِم وكبر أربعًا[٢]، ثُمَّ جاء الخبر بموت النجاشي من تجَّار وَرَدُوا إلى المدينة[٣].

٣٠- ومنها: أنه كَشَفَ الله تعالى له مَا غَابَ عَنْهُ في جيش مؤتة، فقال لأصحابه: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ – ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ**»[٤] وجاءت الأخبار: بأنهم قُتِلُوا في ذلك اليوم على مَا وَصَفَهُ.

٦) وَمِن خَصَائِصِه الإعْجَازِيَّة: ما جَمَعَهُ الله لَه مِن المَعَارِفِ وَالعُلُوم.

مِن الخصائص التي خُصَّ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، ولم يشاركه فيها أحد: ما خصه الله به ﷺ من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه، وقوانين دينه، وسياسة العباد، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء، والرسل، والجبابرة، والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم، ومحاجة كل أمة من الكفرة، ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها، وإخبارهم بما كتموا من ذلك وغيروه، وكل ذلك وهو النبي الأمي، فكان ذلك من معجزاته الباهرة، وكذلك في إحاطته بِلُغَاتِ العرب، وغريب ألفاظ فِرَقِها، والإحاطة بضروب فصاحاتها،

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، رقم (٤,٣٢) (ج ٢ ص٦,٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم: (١١٨٩) (ج١ ص ٤٢٠).

[٣] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ص١٥٣).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم: (١١٨٩) (ج١ ص٤٢٠).

والحفظ لأيامها وأمثالها، وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كَلِمِهَا[1] ومن المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البَيِّنَة؛ لتقريب التفهيم للغامض، والتبيين للمشكل، إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل، مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق، ومحامد الآداب، وكل شيء مستحسن مفضل، لم ينكره ملحد، أو ذو عقل سليم، بل كل جاحد له، وكافر من الجاهلية به، إذا سمع ما يدعو إليه صوّبه، واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه[2].

ومِن ذَلِكَ أخْبَارٌ كثيرة، منها - على سبيل المثال - ما يلي:

١- قوله ﷺ: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: رُؤيَا حَقّ، وَرُؤيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤيا تَحْزِينٌ مِن الشَّيْطان**»[3].

٢- وقوله ﷺ: «**إذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَم تَكَد رُؤْيَا المُؤْمِنِ تَكْذِبُ**»[4].

٣ - ومِن أصُولِ العُلُومِ الطِّبيَّة قوله ﷺ: «**أصْلُ كُلِّ دَاءٍ: البَرَدَةُ**»[5].

٤- وقوله ﷺ: «**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنٍ، فَإنْ كَانَ لَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ للشَّرَابِ، وَثُلُثٌ للنَّفَسِ**»[6].

٥- وقوله ﷺ: «**إنَّ الزَّمَانَ قَد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ**»[7].

٦- وقَوله ﷺ: «**وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، وهو: القتل.

---

[1] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٥٤).

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٥٥)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوى (ج١ ص٦).

[3] أخرجه مسلم في أوائل الرؤيا رقم: (٢٢٦٣)، (ج٤ ص١٧٧٣).

[4] أخرجه مسلم في أوائل الرؤيا رقم: (٢٢٦٣)، (ج٤ ص١٧٧٣).

[5] أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في «الطب النبوي»، رقم (١٣٠)، (ج١ ص٢٤٥)، والبَرَدَةُ: هي التخمة، وثقل الطعام على المعدة، سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام.

[6] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (١٩٤٦) (ج٣ ص ١٣٦).

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة{ براءة }، رقم: (٤٣٨٥)، (ج٤ ص١٧١٢).

٧- وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**اشكَبَ دَرْدْ**»[١] أي: وَجع البَطْن بالفارسية[٢]، إلى غير ذلك مما لا يُعْلَمُ بَعضُ هذا، ولا يَقُومُ به إلا مَن مَارَسَ الدِّرَاسَة عن أهلها، وهو رجل كما قال الله تعالى: أمِّي، لَم يَكْتُب وَلَم يَقْرَأ، ولا عُرِفَ بِصُحْبَةِ مَن هَذِه صِفَتُه، ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءةٌ لشيء من هذه الأمور، ولا عُرِفَ هُوَ قَبْلُ بِشَيءٍ مِنْهَا قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾[٣] إنما كانت غاية معارف العرب: النسب وأخبار أوائلها، والشعروالبيان، وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك، والاشتغال بطلبه، ومُبَاحَثَةِ أهْلِه عنه، وهذا الذي ذكرناه نقطة من بحر علمه ﷺ، ولا سبيل إلى جحد شيء من ذلك؛ لأن الكفرة لم يجدوا حيلة في دفع ذلك إلا قولهم: أساطير الأولين وقولهم: ﴿**إِنَّمَا يُعَلِّمه بشر**﴾[٤]، فَرَدَّ الله قولهم بقوله: ﴿**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[٥]، ثُمَّ مَا قَالُوه: مُكَابَرَة؛ لأَنَّهُ لَم يَكُن يَعْرِفُ إلا سَلْمَان، أو العبد الرومي، وسَلْمَان إنما عرفه بعد الهجرة، ونُزُولِ الكثير مِنَ القرآن[٦]، ولا يَخْفَى ما فيها من الخصوصية المُحَمَّدِيَّةِ، والتي لَم تَكُن لِأحَدٍ إلا للنبي ﷺ، مع ما فيها من وجوه التحدي والإعجاز، التي تحدى بها النبي ﷺ المخاطبين بها إلى يوم القيامة.

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم: (٩,٥٤) (ج٢ ص٣٩).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٥,٧).

[٣] سورة العنكبوت الآية: (٤٨).

[٤] سورة النحل الآية: (١,٣).

[٥] سورة النحل الآية: (١,٣).

[٦] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٥٩)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٧٥)، و«غاية السول» لابن الملقن (ج١ ص٦٥).

٧) مِن خصائصه الإعجازية: اختصاصه ﷺ بأنه أفضل المرسلين.

لا خلاف بين العلماء أن الله فضل نبيه ﷺ على المرسلين، وهذه خصوصية فَضَّلَهُ الله بها على كل النبيين والمرسلين، ورفع بها قدره ومكانته[١]، وقرر ذلك في كتابه المجيد في آيات كثيرة بما يعني أن ذلك ليس لأحد غيره، وهو معنى التحدي الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وقد دلت النصوص صراحة على ذلك المعنى من الكتاب والسنة، **ومن ذلك ما يلي:**

١- قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٢]، فالله سبحانه يفضل من شاء على من شاء وبما شاء، وكيف شاء، يكرم من شاء على من شاء وبما شاء، وكيف شاء، ولا يُسأل عما يفعل، فهو سبحانه فعَّال لما يريد.

٢- قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [٣].

قال الألوسي معلقاً على الآية: «{وَلَقد فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} بالفضائل النفسانية، والمزايا القدسية، وإنزال الكتب السماوية لا بكثرة الأموال والأتباع، {وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا}، بيان لحيثية تفضيله عليه الصلاة والسلام، وأنَّه بإيتائه الزبور لا بإيتائه الملك والسلطنة، وفيه إيذان بتفضيل نبينا، فإن كونه عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، وأمته خير الأمم: مِمَّا تَضَمَّنَهُ الزَّبُور، وقد أخْبَرَ عن ذلك بقوله عز قائلاً: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [٤] يعني: محمداً وأمته»[٥].

---

[١] «شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز الملقب بصدر الإسلام (ص: ١٧٥)، «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص ٢٢٠ – ٢٢٢)، ط١٠، (١٤٢٠ هـ)، دار النفائس الأردن، و«فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٦).

[٢] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[٣] سورة الإسراء آية: (٥٥).

[٤] سورة الأنبياء آية : (١,٥)

[٥] «روح المعاني» (ج١٥ ص٩٥)، و«عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص١٤٩).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك ما يلي:

١- حديث أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «**مَا مِن نَبِيٍّ – آدَم فَمَن دُوْنَهُ – إلَّا وَتَحْتَ لِوَائِي، وأنَا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ وَلَا فَخْر، وَأنَا أوَّلُ شَافِعٍ، وَأوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْر**»[(١)].

قال النووي معلقاً على قوله ﷺ : «أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْـــرُ، وَأوَّلُ شَافِعٍ، وَأوَّلُ مُشَفَّعٍ»[(٢)]: «**ونقل عن الهروي**[(٣)] قولُه: السَّيِّدُ هُو الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ في الخير، **ثم قال مبينا وَجْهَ الخصوصية:** وأما قوله ﷺ: «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقيد أن: في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى ممـــانع، ولا منازع، ولا معاند ونحوه؛ بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار، وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[(٤)] مـــع أن الملك له سبحانه قبل ذلك؛ لكن كان في الدنيا مَن يدعي الملك، أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة»[(٥)].

وقوله ﷺ : «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» لم يقله فخرًا، بل صرح بنفي الفخر كما في الحديث المشهور: «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»، وإنما قاله **لوجهين:**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ١٨، ومن سورة بني إسرائيل، رقم: (٣١٤٨)، (ج٥ ص٣,٨)، وكتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ رقم: (٣٦١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم: (٢٢٧٨)، (ج٤ ص١٧٨٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي الفاشاني . المؤدب، كان من العلماء الأكابر – الهروي بفتح الهاء والراء نسبة إلى هراة وهي إحدى مدن خراسان – والفاشاني: وهي قرية من قرى هراة توفي سنة ٤,١، من تصانيفه: كتاب الغريبين في غريب القرآن، وكتاب الغريبين في غريب القرآن والحديث. ترجمته في: «وفيات الأعيان» ج١ ص٧٩، و«الأعلام» (ج١ ص ٢,٣).

(٤) سورة غافر آية: (١٦).

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص ٣٧)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٧٥).

أحدهما: امتثال قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته؛ ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ، بما تقتضي مَرْتَبَتَهُ كما أمرهم الله تعالى.

وهذا الحديث دليل على: تفضيله ﷺ على الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن: الآدميين أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم[2]؛ **لذا قال الطحاوي**[3]: ويجب الإيمان بأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين[4]، يعني: في الدنيا والآخرة معاً وهذا لا خلاف فيه بين علماء السنة.

قال ابن كثير: وإنما حَازَت الأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ بِنِسْبَتِهَا إلى نبيها ﷺ، فإنه ﷺ أشرف خلق الله، وأكرم الرسل عليه[5].

ووجوه التفضيل كثيرة منها:

١- أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ومحمدًا حبيبًا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهُ اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيْلاً، وَمُوسَى نَجِيًّا، وَاتَّخَذَنِي حَبِيبًا، ثم قال: لَأُوْثِرَنَّ حَبِيْبِي عَلَى خَلِيْلِي وَنَجِيِّ**»[1].

---

[1] سورة الضحى آية: (١٠).

[2] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص٣٧)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«شرح الزرقاني» (ج٨ ص٣٥٢).

[3] هو أحمد بن سلامة الأزدي، أبو جعفر ، نسبته إلى طحا قرية بصعيد مصر: كان إماما فقيهًا حنفيًا، وكان ابن أخت المزني صاحب الشافعي . وتفقه عليه أولاً . قال له المزني يومًا: «والله لا أفلحت» فغضب وانتقل من عنده، وتفقه على مذهب أبي حنيفة . وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء . توفي سنة ٣٢١ هـ. من تصانيفه : أحكام القرآن؛ ومعاني الآثار، وشرح مشكل الآثار، وهو آخر تصانيفه والعقيدة المشهورة بالعقيدة الطحاوية؛ والاختلاف بين الفقهاء. يراجع: «الجواهر المضية» (ج١ص١,٢)، و«الأعلام» (ج١ ص١٩٦).

[4] «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٨)، و«عمدة القاري» (ج١٧ ص٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (ج٧ ص٢١٨).

[5] «تفسير ابن كثير» (ج١ ص٣٩١)، و«عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص١٤٩).

لكن يُعْتَرَضُ الاستِدْلالُ بهذا الحديث بأنه مَوْضوع، ففي السلسلة الضعيفة[٢] قال: موضوع، وهو مُخالِف لقوله ﷺ: «**إنَّ الله قَد اتَّخذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**» الذي رواه مسلم[٣].

وَرَدَّ المُنَاوِيُّ[٤] على ذلك فقال: وحَكَم ابنُ الجوزي بِوَضْعِه، وقال: «تفرد به مسلمة الخشني وهو متروك، والحمل فيه عليه»، ونُوزع بأن مجرد الضعف أو الترك لا يوجب الحكم بالوضع[٥]. وذَكر أثرا في ذلك المعني عن ابن عباس أنه قال: «جعل الله الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والنظر لمحمد ﷺ»[٦].

٢- إنَّ نُوحًا دَعا على قومِه فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارا﴾[٧]، أما النبي ﷺ فقال: «**اللهُمَّ اغْفِر لِقُومِي فَإنَّهُم لَا يَعْلَمُونَ**»[٨].

٣- إذا كان هُود نُصِرَ عَلى قَومِه بالدَّبُور أي: بالريح، فقد نُصِرَ ﷺ بالصبا يَومَ الخَنْدَق[١].

---

[١] أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، رقم: (١٤١٣)، (ج٣ ص٨١).

[٢] السلسلة الضعيفة (ج٤ ص١,٩).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد، رقم: (٥٣٢) (ج١ ص٣٧٧).

[٤] هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، زين الدين، الحدادي المناوي، القاهري، الشافعي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه: التيسير في شرح الجامع الصغير، وفيض القدير، وتيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، وشرح التحرير في فروع الفقه الشافعي. ترجمته في: «خلاصة الأثر» (ج٢ ص٤١٢)، و«الأعلام» (ج٧ ص٧٥)، و«معجم المؤلفين» (ج٥ ص٢٢٠).

[٥] «فيض القدير» (ج١ ص١,٩).

[٦] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب من اسمه عمر، أحاديث عبد الله بن العباس، (ج ١١ ص٣٦١)، رقم: (١٢,١٨)، وفي «المعجم الأوسط» ج ٩ ص ١٥٢ رقم ٩٣٩٦ وقال: لم يرو هذا الحديث عن ميمون القناد إلا موسى بن سعيد تفرد به حفص بن عمر العدني، وفي: «مجمع الزوائد» (ج١ ص٢٥١) قال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حفص بن عمر العدني، روى ابن أبي حاتم توثيقه عن أبي عبد الله الطهراني، وقد ضعفه النسائي وغيره».

[٧] سورة نوح آية: (٢٦).

[٨] «تفسير الطبري» (ج٧ ص٣٥).

٤- إذَا كَانَ لِصَالِح نَاقَةٌ، فَقَد سَجَدَت الإبِلُ للنبي ﷺ.

٥- إذا كان يُوسُف مَلِيحَ الصُّورَةِ، فَقَد كَان نَبِيُّنَا ﷺ كالقمر ليلة البدر[٢].

٦- إذا كان الحَجَرُ انْفَجَرَ لِمُوسَى، فَقَد نَبَعَ المَاءُ مِن بَيْنِ أصابِعِ النبي ﷺ[٣].

٧- إذَا كَان إبْرَاهِيمُ كَسَرَ الأصْنَامَ، فقَد رَمَى نَبِيُّنَا ﷺ هُبَلَ مِن أعْلَى الكَعْبَةِ، ثم أشَارَ يَومَ الفَتْحِ إلَى ثَلاثمائة وَستين صَنمًا، فَوقَعَت وتَكَسَّرَت[٤].

٨- إذَا كَانَت الجِبَالُ سَبَّحَت مَع دَاود، فقد سَبَّحَ الحَصَا فِي كَفِّهِ ﷺ.

٩- وإنْ كَان سُلَيْمَانُ أعْطِى مُلْكَ الدُّنْيَا، فقد جِيءَ للنَّبِي ﷺ بِمَفاتيح خَزَائِن الأرْض فَأبَاهَا زَاهِداً.

١٠- وَإنْ كَانَت الرِّيح سُخِّرَت لِسُلَيْمَان، فقد سَارَ النبي ﷺ إلى بَيْتِ المقدس مسيرة شهر في بعض ليلة، وعُرِجَ بِه السماء مسيرة خمسين ألف سنة إلى العَرْشِ.

١١- وَإنْ كَان سُليمانُ فَهِمَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ: فَقَد فَهِمَ ﷺ كَلَامَ البَعِيْر والذِّئْبِ والشَّجَرِ والحَجَرِ.

١٢- وإنْ كَان الجِنُّ سُخِّرَت لسليمان فقد جَاءَ الجِنُّ مُؤمِنُون إلى النبي ﷺ[٥].

١٣- وإن كان لِسُلَيْمَان أعْوَاناً مِن الجِنّ يَخْدُمُونَه، فقَد كَان للنبي ﷺ خَدَمٌ مِن الملائكة، وقد ذَكَر أبُو جَهْل لَما أتَى النَّبِيَّ ﷺ وهو يُصَلِّي لِيَطَأ عَلَى عَاتِقِه نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ، ثم قال: إنَّ بَيْنِي وبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِن نَارٍ وَهَوْلاً وَأجْنِحَةً[١].

---

[١] «البداية والنهاية» (ج١ ص١٢٩).

[٢] «تحفة الأحوذي» (ج ١٠ ص٨٣).

[٣] «المعجم الكبير» (ج١٢ ص٨٧).

[٤] «المعجم الأوسط» (ج٨ ص٥١).

[٥] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج٢ ص١٢ – ١٣)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٧٥).

١٤- وإن كَانَ عِيْسَى يُخْبِرُ بِالغُيُوبِ، فَقَد أخْبَرَ ﷺ بِأشْيَاء كَثِيْرَة مِن الغَيب.

وقد صرح ﷺ ونص على تفضيل الله له ومن ذلك مايلي:

١- أنه ﷺ قال:«**أعْطِيْتُ مَا لَم يُعْطَ أحَدٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ**»[٢].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٣].

٢- قوله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى اللهِ وَلَا فَخْرَ**»[٤].

٣- قوله ﷺ: «**لَيْلَةَ أسْرِيَ بِي، فَانْتَهَيْتُ إِلَى قَصْرٍ مِن لُؤْلُؤةٍ يَتَلَأْلَأُ نُورًا وَأعْطِيْتُ ثَلاثًا: إنَّكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِيْنَ، وَإمَامُ الْمُتَّقِيْنَ، ورَسُولُ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَقَائِدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ**»[٥].

٤- قوله ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَة أسْرِيَ بِي بِالمَلَأِ الأعْلَى، وَجبْرِيل كَالحِلْسِ البَالِي مِن خَشْيَةِ اللهِ**»[٦]، وفي رواية أنس أنه قال: «**أنَا أكْرَمُ الأوَّلِينَ وَالآخِرِيْنَ عَلَى اللهِ وَلَا فَخْرَ**»[٧].

مَعْنَى تَفْضِيل اللهِ بَعْضَ الأنْبِيَاءِ عَلَى بَعْض:

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله إن الإنسان ليطغى، رقم: (٢٧٩٧) (ج٤ ص٢١٥٤).

[٢] «الأحاديث المختارة» لأبي عبد الله المقدسي (ت: ٦٤٣ هـ) (ج٢ ص٣٤٩)، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط: (سنة ١٤١٠هـ).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢٣) (ج١ ص٣٧١).

[٤] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٠) (ج٥ ص٥٨٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

[٥] أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» رقم: (١٠١٢)، (ج٢ ص١٩٢).

[٦] أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم: (٤٦٧٩)، (ج٥ ص٦٤).

[٧] «سنن الدارمي»، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، رقم: (٤٧)، (ج١ ص٣٩).

اتَّفَقَ العُلَمَاءُ أنَّ صفات جميع الأنبياء صلوات الله عليهم، من كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق، وجميع المحاسن؛ لأنها صفات الكمال، والكمال والتمام البشري، والفضل الكامل لهم صلوات الله عليهم؛ إذ رُتْبَتُهُم أشرف الرُّتَب، ودَرَجاتهم أرفع الدرجات[1]، ولكن فضل الله بعضهم على بعض، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [2]، وقال: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3]، ولِهَذا فإنَّ مَعنى نَهْيه ﷺ عن التخيير، أو التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام، والوارد في قوله ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاء**» [4].

يعني: لا تُفَضِّلُوا بَعْضَهُم على بعض، أي: مِن عند أنفسكم؛ لأنكم لستم أهلاً لأن تفضلوا بينهم؛ لأن الذي يفضل بين اثنين – مثلاً – يكون أفضل منهما فيما يفضل فيه، وهذا غير متحقق فيكم، ومِن ثَمَّ فَلَن تَقْدِروا عَلى ذلك.

أو معناه: لا تفضلوا بينهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص المفضول منهم والإزدراء به، لأن ذلك كفر.

أو معناه: لا تفضلوا إذا كان التفضيل يؤدي إلى خُصُومَةٍ أو فتنة، كما في سبب الحديث، أو أن النهي عن التفضيل بالرأي والهوى، وبدون دليل فهذا هو المنهي عنه[5].

أو معناه: لَا تُفَضِّلُوا في نَفْسِ النبوة، فإنهم متساوون فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، كما قال تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1]، معناه: المنع في

---

[1] «فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«الموافقات» (ج٤ ص٢٦٦)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص٣٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز (ج١ ص١٦٦)، و«الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٤٧)، و«الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج٢ ص١١، ١٣، ١٥، ٢٠)، و«مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٢ ص٢٢٢)، و(ج١١ ص٢٢١).

[2] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[3] سورة الدخان الآية: (٣٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي، رقم: (٢٢٨١)، (ج٢ ص٨٥٠)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام، رقم: (٢٣٧٤)، (ج٤، ص١٨٤٥).

[5] «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص: ٢٢٣ – ٢٢٤).

التفضيل في أصل النبوة والرسالة، فإن الأنبياء فيها على حد سواء[٢]، ومعنى هذا: ترك التخيير بينهم على وجه الازدراء ببعضهم، فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم، والإخلال بالواجب من حقوقهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله تعالى قال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٤].

وقال أيضًا: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[٥]، واللفظ صَرِيحٌ في التفضيل، فلا يحتاج إلى بيان من أحد[٦].

قال النووي: وأما الحَدِيثُ الآخَر: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ**»، **فالجمع بينهما من خمسة أوجه:**

الوجه الأول: أنه ﷺ قالَه قَبْلَ أنْ يَعْلَم أنه سيد ولد آدم، فلما عَلِمَ أخْبَرَ به.

الوجه الثاني: قالَهُ أدَباً وتَوَاضُعاً.

الوجه الثالث: أن النَّهْيَ إنما هو عَن تفضيل يُؤدِّي إلى تَنْقِيْصِ المَفْضُولِ.

الوجه الرابع: أنه نَهْيٌ عَن تَفْضِيلٍ يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.

---

[١] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[٢] «عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص١٤٩)، و«الموافقات» (ج٤ ص٢٦٦).

[٣] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[٤] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[٥] أخرجه البخاري، أبواب المساجد، باب قول النبي ﷺ: «**جُعِلَت لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»، رقم: (٤٢٧)، (ج١ ص١٦٨)، وأخرجه مسلم في أوائل المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢١) (ج١ ص١٧٥).

[٦] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

الوجه الخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، ولابدّ من اعتقاد التفضيل[1].

فقد قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2].

ولقوله ﷺ: «**وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[3] إنما ذكر الثاني؛ لأنه قد يشفع اثنان، فيشفع الثاني منهما، قبل الأول[4].

٨) من خصائصه الإعجازية: تَخْصِيْصُهُ ﷺ بتبليغ سَلَامِ كُلِّ مَن سَلَّمَ عَلَيهِ مِن الأنام إلى يوم الدين.

لقد خَصَّ الله نبيَّهُ محمدًا ﷺ بأن يُبلغه سلام كُلِّ مَن يُسَلِّمُ عليه مِن أمَّتِه إلى يومِ الدِّين ويُسْمِعَه سَلام كُلّ مَن يُسَلِّم عليه عند قَبْرِه، وهذا مِنْ فِعْل الله تعالى لِنَبِيِّه الأكرم ﷺ، حيث رَفَعَ لَهُ ذِكْرَه وفَضَّلَه على الخلق جميعًا، فمعنى التحدي والإعجاز فيه واضح، كما أن في اختصاصه بتبليغه سلام مَن سَلَّمَ عَلَيْهِ أينما كان: أمْرٌ لَم يَثْبُت لِأحَدٍ إلا للنبي محمد ﷺ.

والروايات الصحيحة الدالة على ذلك كثيرة منها ما يلي[5]:

١- عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «**مَا مِن أحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوْحِي حَتَّى أرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[6].

---

[1] المرجع السابق.

[2] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم: (٢٢٧٨) (ج٤ ص١٧٨٢).

[4] «شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز الملقب بصدر الإسلام (ج١ ص١٦٠)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«عون المعبود» (ج ١٢ ص ٢٧)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣).

[5] «من خصائص الرسول» (ص: ٥٥).

[6] أخرجه أبو داود كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم: (٢,٤١)، وقال الشيخ الألباني: حسن، وأخرجه أحمد في «مسنده»، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم: (١,٨٢٧)، (ج٢، ص٥٢٧).

٢ – عن عبد الله بن مسعود[١] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِيْنَ يُبْلِغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[٢].

٣– وعن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه ﷺ، ثم أن رسول الله ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[٣]، وفي الحديث أمر آخر من الخصائص وهو ما أعطاه الله إياه من الثواب لأمته على صلاتهم عليه ﷺ وأن ذلك إرضاء له ﷺ من ربه في أمته، و لم يكن ذلك لأحد إلا للنبي محمد ﷺ.

٤– وأنَّه ﷺ قال: «**صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبْلُغُنِي حيث كنتم**»[٤].

٥– عن ابن عباس ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِن أُمَّةِ مُحَمَّد يُسَلِّمُ عليه ويُصَلِّي عَلَيْهِ إِلَّا بَلَغَهُ»[٥].

وذَكَرَ بَعْضُهم أنَّ العَبْدَ إذَا صَلَّى عَلى النَّبِيِّ ﷺ عُرِضَ عَلَيْهِ اسْمُهُ.

---

[١] هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من أهل مكة، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلا . ومن السابقين إلى الإسلام . وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين . شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أقرب الناس إليه هديًا ودلاً وسمتًا . أخذ من فيه سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد . بعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلمهم أمور دينهم . له في الصحيحين ٨٤٨ حديثًا. توفي (سنة: ٣٢هـ). ترجمته في: «الإصابة» (ج٢ ص٣٦٨)، و«الأعلام» (ج٤ ص٤٨٠).

[٢] أخرجه النسائي، باب السلام على النبي ﷺ، رقم: (١٢٨٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح، وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم: (٩١٤)، (ج٣ ص١٩٥).

[٣] أخرجه النسائي في «المجتبى»، كتاب: السهو، باب: فضل التسليم على النبي ﷺ، رقم: (١٢٨٣) (ج٣ ص٤٤)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

[٤] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم: (٢,٤٢)، (ج١ ص٦٢٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[٥] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٧٩)، و«السنن الكبرى» (ج٦ ص٢٣).

٦- عن الحسن بن علي[١] ﷺ قال: إذَا دَخَلْتَ المَسْجِدَ فَسَلِّم عَلَى النبي ﷺ، فإن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيْداً، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُم قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُم، فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُم**»[٢].

ومعنى الحديث: لا تتخذوا بيتي عيدًا، أي: كما كان يفعل اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة، واللهو[٣].

٧- قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[٤].

---

[١] هو: الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي، أمير المؤمنين، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا وأحد سيدي شباب أهل الجنة، روى عن جده رسول الله ﷺ وأبيه علي وأخيه حسين وخاله هند بن أبي هالة . روى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وعكرمة ومحمد بن سيرين وآخرون . كان حليمًا ورعًا فاضلاً . ولي الخلافة بعد أبيه عدة أشهر، ثم تنازل لمعاوية بشروط، وصان الله بذلك جماعة المسلمين . وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ**»، انصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي، ويقال إنه مات مسمومًا، سنة ٥٠ هـ، وقيل غير ذلك. ترجمته في: «الإصابة» (ج١ ص٣٢٨) و«تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٢٩٥)، و«صفة الصفوة» (ج١ ص٣٤٠].

[٢] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب: زيارة القبور، رقم: (٢,٤٢)، (ج١ ص٦٢٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[٣] حاشية: «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٨٠).

[٤] أخرجه أبو داود في سننه، باب: فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: (١,٤٧)، (ج١ ص٣٤٢)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم: (١٣٧٤) (ج٣ ص٩١)، وقال الألباني: صحيح، و«أَرِمْت» أصله: أرممت، أي: صِرْتَ رَمِيما.

٨- وعن ابن شهاب: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ، وَاليَوْمِ الأَزْهَرِ، وَإِنَّ الأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا مِن مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا حَمَلَهَا مَلَكٌ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إِلَيَّ وَيُسَمِّيه حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: إِنَّ فُلَاناً يَقُولُ كَذَا وَكَذَا**»[(١)].

٩- وعن رجل[(٢)] قال لأبي أمامة ﷺ: يا أبا أمامة إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلي عليك كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست، قال أبو أمامة: اللهم غفرا، دعونا عنكم، وأنتم لو شئتم صَلَّت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾[(٣)].

١٠- وعن أَبيِّ بنِ كَعب[(٤)] ﷺ قال كان رسول الله ﷺ إذا ذَهَبَ رُبْعُ الليل قام فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم: (٢٤١)، (ج١ ص٨٣)، وفيه عبد المنعم بن بشير الأنصاري وهو: ضعيف.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحزاب رقم: (٣٥٦٥)، (ج٢ ص٤٥٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات : (٤١)، (٤٢)، (٤٣).

(٤) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، أبو المنذر، من بني النجار، من الخزرج، صحابي، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يفتي على عهده، وشهد مع عمر بن الخطاب ﷺ وقعة الجابية، وأمره عثمان ﷺ بجمع القرآن، فاشترك في جمعه، وله في الصحيحين وغيرهما (١٦٤) حديثًا، وآخى النبي ﷺ بين أبي بن كعب وطلحة بن عبيد الله ﷺ، وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ، قال: «**أَقْرَأُ أُمَّتِي: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ**». توفي (سنة: ٢١ هـ). ترجمته في: «الاستيعاب» (ج١ ص٦٥)، و«الإصابة» (ج١ ص١٩)، و«طبقات ابن سعد» (ج٣ ص٤٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم: (٢٤٥٧)، (ج٤ ص٢١٨)، وقال: «هذا حديث حسن».

٩) من خصائصه الإعجازية أنه ﷺ خاتم النبيين.

لقد ختم الله الرسل والأنبياء بنبيه محمد ﷺ، اصطفاه الله ليكون خاتمًا للنبيين والمرسلين، وقد دَلَّ على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، **ومن ذلك ما يلي:**

أولا: من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[(١)]، الآيةُ دَلِيلٌ عَلى أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، ومن باب أولى لا رسول؛ لأن مقام الرسالة أخص من النبوة.

ثانيا: من السنة أحاديث كثيرة منها ما يلي:

١- قوله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**»[(٢)].

٢- وعن أنس بن مالك أنه ﷺ قال: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَد انْقَطَعَت، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**»[(٣)].

وقوله: «**خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**» أي: أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه خاتم النبيين، ولمح بما وقع في القرآن، وفي الحديث ضرب الأمثال؛ لتقريب الأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين ،وأكمل به شرائع الدين.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: (٤٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم: (٣٣٤١ – ٣٣٤٢)، (ج٣ ص١٣,١)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم: (٢٢٨٧)، (ج٤ ص١٧٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ، باب: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، رقم: (٢٢٧٢)، (ج٤ ص٥٣٣)، وقال: «هذا حديث صحيح».

٣- قوله ﷺ: «**أَنَا العَاقِبُ**»[١]، و«العَاقِبُ»: الذي ليس بعده أحد من الأنبياء، وهذا يعني أن الله ﷻ خَتَمَ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام، كما ختم بدينه الإسلام الديانات السماوية السابقة، فكما لا دين بعد دينه، كذلك لا نبي بعده ﷺ[٢].

٤- وعن سعد بن أبي وقاص[٣] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوْسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[٤].

٥- وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»[٥].

٦- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ** ... »، منها: «**وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ**»[٦]، وقوله في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف: «خاتم النبيين».

٧- وعَن أبي بن كعب ﷺ: عن النبي ﷺ قال:«**إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيْبَهُم**»[١].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٣٩)، (ج٣ ص١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ رقم: (٢٣٥٤).

[٢] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٨٠)، و«عظم قدره» (ص: ٣٨)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣).

[٣] هو الصحابي الجليل: سعد بن أبي وقاص هو سعد بن مالك بن أهيب أحد العشرة المبشرين بالجنة روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروت عنه عائشة وابن عباس وابن عمر ﷺ. يراجع: «موسوعة الأعلام» (ج٢ ص١٢١).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم: (٢٤,٤) (ج٤ ص١٨٧٠).

[٥] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٣٢٦٨)، (ج٣ ص١٢٧٣)، وأخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم: (١٨٤٢)، (ج٣ ص١٤٧١).

[٦] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

ووجه الخصوصية أن: الله اختاره لذلك وخصه بها دون غيره، وكذا التحدي في أنه لا يستطيع أحد أن يكون كذلك؛ لأنه تفضيل الله تعالى.

٨- عن ثَوْبَان[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإنَّه سَيَكُونُ فِي أمَّتِي ثَلاثُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُم يَزْعُمُ أنَّهُ نَبِيٌّ، وأنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[٣].

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٤].

١٠) مِن خَصائِصِه الإعجازية: أن الله تعالى كَتَبَ نُبُوَّتَهُ قَبْلَ خَلْقِ آدَم.

مِن الخصائص المحمدية أن الله تعالى كَتَبَ نُبُوَّتَهُ قبل خلق آدم، فهو ﷺ أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا[٥]، وقد دَلَّ على ذلك النصوص الصريحة، كما في قوله ﷺ في حديث ميسرة: متى

---

[١] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٣) (ج٥ ص٥٨٦)، وقال «هذا حديث حسن»، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم: (٤٣١٤) (ج٢ ص١٤٤٣)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

[٢] ثوبان مولى رسول الله ﷺ صحابي مشهور، يقال: إنه من العرب، حكمي من حكم بن سعد حمير، وقيل: من السراه اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ، فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها؛ سنة أربع وخمسين، قاله ابن سعد وغيره. «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج١ ص١٣٦).

[٣] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب: الفتن، باب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، رقم: (٢٢١٩) (ج٤ ص٤٩٩)، وقال: «هذا حديث صحيح».

[٤] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[٥] «الخصائص الكبرى» (ج١ ص٥).

كنت نبيا؟ قال ﷺ: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**»[1]، وبلفظ: متى كتبت نبيا؟ ومما يؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة قال: قالوا: يا رسول الله متى وَجَبَت لك النبوة؟ قال: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**» [2].

ولا يخفى ما في ذلك من وجوه الإعجاز التي أخبر بها ﷺ، وما خص به من تلك المعاني التي لم يُعْطِهَا اللهُ لِأحَدٍ إلَّا له ﷺ، حيث نص عليها وخص نفسه بها فلا بُدَّ لها من فائدة، وإن لم يصل إليها أحد صَرَاحَةً، فيكفي منها دلالة علي التفضيل والتخصيص التشريفي الذي ليس لأحد إلا له ﷺ.

وقد وَرَدَ فِي ذلك المعنى أحاديث كثيرة منها ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ أوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُم في البَعْثَةِ**»[3]، ويؤيده أن الله أخذ له الميثاق على النبيين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾[4]، فجعل الأنبياء تَبَع له، وألهمهم الانقياد، فلو أدْرَكُوه لَوَجَب عليهم اتِّبَاعُه، أو يكون المعنى أنه شرط للنبوة أن يؤمِنَ بالنبي محمد ﷺ؛ ولهذا قال السُّبْكِيُّ: «فَالنَّبِيُّ ﷺ هُو نَبِيُّ الأنْبِيَاء، ولهذا ظَهَرَ ذلك في الآخرة، فجميع الأنبياء تحت لوائه، وهو في الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم؛

---

[1] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث رجل رضي الله تعالى عنه، رقم (١٦٦٧٤) (ج٤، ص٦٦)، وفي «المستدرك» عن ميسرة الفخر قال : قلت لرسول الله ﷺ متى كنت نبيا ؟ قال: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوْحِ وَالجَسَدِ**»، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما، (ج٢ ص٦٦٥).

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦٠٩) (ج٥ ص٥٨٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[3] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (٢٦٦٢) (ج٤ ص٣٤).

[4] سورة آل عمران، آية: (٨١).

ولو اتَّفَقَ مَجِيْئُهُ فِي زَمَن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وَجَبَ عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته»[1].

والدليل على ذلك مايلي:

١- قوله ﷺ: «**لَو كَانَ مُوْسَى حَياً بَيْنَ أظْهُرِكُم مَا حَلَّ لَهُ إلَّا أنْ يَتْبَعَنِي**»[2].

أي: مَا جَازَ لَهُ إلا اتِّبَاعي؛ إذ هو نَبِيُّ الأنْبِيَاء، وسائر الأنبياء نُوَّابُه، وأن شَرِيْعَتَهُ مَنْسُوخَة كعيسى عليهما الصلاة والسلام[3].

٢- قَدَّمَ اللهُ ذِكْرَهُ على الأنبياء في قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[4].

١١) مِن خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّة: اختِصَاصُهُ ﷺ بمعجزة الإسراء والمعراج.

الإسْرَاءُ والمِعْرَاجُ مُعْجِزَةٌ؛ بَل مُعْجِزَات متعددة ومتنوعة، وآياتُ باهرات، أعطاها الله لنبيه من بين رسله، وخَصَّه بها؛ لإظهار فضل الله عليه، وعظم قدره عنده جل وعلا، فكانت بذلك من خصائصه الإعجازية؛ ولهذا تنوع الحديث عنها في القرآن، والسنة، فمثلاً قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة، نبَّه الله عليها في الكتاب العزيز، وجاءت بها صحاح الأخبار، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [5]، وكذلك المعراج، تناولته سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ

---

[1] «فتاوى السبكي» (ج١ ص٦٨).

[2] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث جابر بن عبد الله ﷺ، رقم: (١٤٦٧٢) (ج٣ ص٣٣٨)، وفي «مسند أبي يعلى» رقم: (٢١٣٥) (ج٤ ص١,٢)، وقال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف.

[3] «فتاوى الرملي» (ج٦ ص١٤٦)، و«الوفا بأحوال المصطفى» (ج٢ ص٦).

[4] سورة النساء، آية: (١٦٣).

[5] سورة الإسراء، آية: (١).

عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ.﴾ [1]، وهذا تعظيم للمعجزة، والمعجز والرسول، والرسالة معًا، ففيها من التناسب والترتيب المفخم، والمعظم مالا يحيط بسره إلا الله تعالى.

قال الطَّحَاوِيُّ: والمِعْرَاجُ حَقٌّ، وقد أُسري بالنبي ﷺ وعُرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله مِن العُلَا، وَأَكْرَمَهُ الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى[2]: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[3]، ولا خِلَافَ بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ[4]؛ إذ هو نص القرآن، وجاءت بتفصيله، **وشرح عجائبه وأسراره أحاديث كثيرة من أهمها:**

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**»، قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**»، قَالَ «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ** عليه السلام **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ** ﷺ: **اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ**

---

[1] سورة النجم، الآيات: (من ١ : ١٨).

[2] «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٢).

[3] سورة النجم، الآية: (١١).

[4] «فتح الباري» (ج١٣ ص٤٨٢)، و«التمهيد» (ج٢٠ ص٢٥٨)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

جبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عز وجل: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ»، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ

وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «**فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ**»[1].

قال القاضي عياض: جَوَّدَ ثَابت ﷺ هذا الحديث عن أَنَسٍ مَا شَاء، ولَم يَأتِ أحَدٌ عنه بأصوب من هذا، وقد خَلَّطَ فِيه غَيْرُهُ عَن أَنَسٍ تَخْلِيطا كَثِيرا لاسِيَّما مِن رِوَايَةِ شَرِيك[2].

وعن أنس ﷺ، قال: كان أبو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**فَرِجَ سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيل، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِن مَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيْمَانًا، فَأَفْرَغَهَا مِن صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ...**»[3].

وحديثُ ثَابِتٍ، عن أنس: أَتْقَنُ وَأَجْوَد[4]، وقَد وَقَعَت في حديث الإسراء، زيادات **نذكر منها نكتاً مفيدة في عرضنا:**

١- منها حديث ابن شهاب، وفيه: قول: كُلِّ نَبِيٍّ لَه: «**مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالأَخِ الصَّالِحِ**»، إلا آدم وإبراهيم فقالا له: «**وَالابْنِ الصَّالِحِ**»[5].

٢- وعَن ابْنِ عباس: «**ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيْهِ صَرِيْفَ الأَقْلَامِ**»[1].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٢)، (ج١ ص١٤٥).

[2] «الشفا» (ج١ ص١٨٠).

[3] أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، رقم: (٣١٦٤) (ج٣ ص١٢١٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٣) (ج١ ص١٤٨).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٨٠).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم: (٣٤٢) (ج١ ص١٣٥).

٣- وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «**وَقَد رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاء ... فَحَانَت الصَّلَاةُ، فَأَمَمْتُهُم، فَقَال قَائِلٌ: يَا مُحَمَّد، هَذا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، فَسَلِّم عَلَيْهِ، فَالتَفَتَ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ**»[٢].

٤- وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «**ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، فَنَزَل فَرَبَط فَرَسَه إلى صَخْرَةٍ، فَصَلَّى مَعَ المَلَائِكَةِ، فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ قالوا: يَا جِبْرِيلُ، مَن هَذَا مَعَك؟ قال: هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ: قَالُوا: وَقَد أَرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نَعَم، قَالوا: حَيَّاهُ اللهُ مِن أخٍ وَخَلِيْفَةٍ، فَنِعْمَ الأَخُ وَنِعْمَ الخَلِيْفَة! ثم لَقُوا أَرْوَاحَ الأَنْبِيَاء فَأَثْنَوا عَلَى رَبِّهِم، وذَكَر كَلَام كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم، وهُم إِبْرَاهِيْم، وَمُوسَى، وَعِيْسَى، ودَاوُد، وسُلَيْمَان**»، ثم ذَكَرَ كَلَامَ النبي ﷺ، فقال: «**وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَثْنَى عَلى رَبِّهِ ﷻ فقال: كُلُّكُم أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ، وأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي: الحَمْدُ للهِ الذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً للعَالَمِينَ، وَكَافَّة للنَّاسِ بَشِيْراً وَنَذِيْراً، وَأَنْزَل عَلَيَّ الفُرْقَان فيه تبيان كُلِّ شيء، وَجَعَل أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ، وَجَعَل أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطاً، وجَعَل أُمَّتِي هُم الأَوَّلُون، وَهُم الآخِرُون، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، وَرَفَع لِي ذِكْرِي، وجَعَلَنِي فَاتِحاً وخَاتِمًا**»، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد. ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا، ومن سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ[٣].

٥- وفي حديث ابن مسعود ﷺ: «**وَانْتُهِيَ بي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءَ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا ينتهى ما يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وإليها يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى: {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَب**». وفي رواية أبي هريرة، من طريق الربيع بن أنس: «**فَقِيلَ لِي: هَذِهِ السّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلا عَلَى سَبِيلك، وَهِيَ السّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ**

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم: (٣٤٢) (ج١ ص١٣٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (١٦٣) (ج١ ص١٤٨).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب، ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم: (١٧٢) (ج١ ص١٥٦).

[٣] هو جزء من حديث طويل أخرجه البزار في «مسنده»، رقم: (٩٥١٨)، (ج١٧ ص٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١ ص٧٢): «رجاله موثقون، إلا أن الربيع بن أنس قال: «عن أبي العالية – أو: غيره –». فتَابِعِيُّهُ مَجْهُول».

لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظلّهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةٌ الْخَلْقِ، فَغَشِيَهَا نُورٌ وَغشِيتهَا الْمَلَائِكَةِ»[1]، قال: فهو قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[2]، **فَقَالَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَهُ: سَلْ، فَقَالَ: إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلًا، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَعْطَيْتَ دَاوُد مُلْكًا عَظِيمًا، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَسَخرْتَ لَهُ الْجِبَالَ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَان مُلْكًا عَظِيمًا، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْس وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَاحَ، وَأَعْطَيْتهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكَمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَمَا سَبِيلٌ، فَقَالَ لَهُ رَبَّهُ تَعَالَى: قَد اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: «مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمنِ»، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَةَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخرُونَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيّينَ خَلْقًا وآخِرَهُمْ بَعْثًا، وأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا من المثانى وَلَمْ أعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ خَواتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا»**[3].

٧- وفي الرواية الأخرى قال: «**فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْس، وَأعْطِيَ خَوَاتِيْمَ سُوْرَةِ البَقَرَة، وَغُفِرَ لِمَن لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئَاً مِن أمَّتِهِ**»[4]، وقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[5]، رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح[6].

---

[1] أخرجه ابن ماجه، في «سننه»، كتاب: الإيمان، باب منه في الإسراء، رقم: (٢٣٥)، (ج١ ص٢٣٦).

[2] سورة النجم، آية: (١٦).

[3] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٨٢).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٨٤).

[5] سورة النجم، آية: (١٢)، و(١٣).

[6] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم: (١٧٤) (ج١ ص١٥٨).

١٢) مِنْ خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّة: اختِصَاصُه بِالْمُنَاجَاةِ وَرُؤيتُهُ لِرَبِّه ﷻ في ليلة المعراج[١].

وجه الإعجاز والاختصاص بهذا الشرف العظيم للنبي الحبيب: ظاهر، ولا يُنْكِرُهُ إلا جَاحِـدٌ، أو جاهل، حتى وإن اختلف الصحابة في تحققه وحصوله، فإنهم وإن اختلفوا في حصول ذلك وتحققه للنبي ﷺ، فإنهم اتفقوا على عدم حصوله لغيره، وهذا هو وجه الفرق.

فأما رؤيته ﷺ لربه ﷻ **فاختلف السلف فيها على رأيين:**

الرأي الأول: وهو للسيدة عائشة رضي الله عنها حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ: لَم يَتَحَقَّق له رؤيةُ رَبِّه ليلة المعراج.

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إنما رأى جبريل»[٢]، واختلف عنه، وقال بإنْكَارِ هَذا وَامْتِنَاعِ رُؤيَتِهِ فِي الدنيا: جماعة من المحـدثين، والفقهاء والمتكلمين[٣].

ويؤيده ما روي عن مسروق[٤] أَنَّهُ قَالَ لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمـد ربـه؟ فقالت لقد تكلمت بشيء قَفَّ لَهُ شَعْرِي، قلت: رُويدًا، ثم قرأت: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّـهِ الْكُبْرَى﴾، قالت: أين يُذْهَبُ بك؟ إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمدًا رأى ربه، أو كتم شيئًا مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِـيمٌ

---

[١] «الشفا» (ج١ ص١٩٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٦).

[٣] «الشريعة» (ج١ ص٤٩٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج٢ ص٢٥٥).

[٤] هو: مسروق الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، ثم الوداعي، أبو عائشة تابعي ثقة، من أهل اليمن . قدم المدينة في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وسكن الكوفة . روى عن أبي بكر وعمر وعائشة ومعاذ وابن مسعود رضي الله عنهم، توفي (سنة: ٦٣)، وقيل: (٦٢)، يراجع: «الإصابة» (ج٣ ص٤٩٢)، و«طبقات ابن سعد» (ج٤ ص١١٣).

خَبِيرٌ ﴾[1]، فَقَد أعْظَمَ الفِرْيَة، ولكنَّهُ رَأى جبريل، لَم يَرَهُ فِي صورته إلا مرتين، مَرَّة عند سدرة المنتهى، ومرة في جِيَادٍ لَهُ ستمائة جناح، قد سَدَّ الأُفُقَ»[2].

ويؤيده ما رواه الإمام مسلم: عن أبي ذر قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: هَل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «**نُورٌ أنَّى أرَاهُ**»[3].

الرأي الثاني: يرى ابنُ عباسٍ رضي الله عنه، وعكرمَةُ، والحسن، وابن مسعود: إثبات الرؤية للنبي ﷺ، لكنهم اختلفوا في كيفية الرؤية هل كانت بالعين أم بالقلب؟ على آراء ثلاثة:

أولهما: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رَآهُ بِعَيْنِه[4].

وقال أبو الحسن الأشعري[5] رضي الله عنه وجَمَاعَةٌ من أصحابه: أنه رأى الله تعالى ببصره وعَيْنَي رَأسِهِ، وقال: كل آيَةٍ أوْتِيَهَا نَبِيٌّ مِن الأنبياء عليهم السلام فقد أتِيَ مِثْلَها نَبِيُّنَا، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية[6].

وقال ابن كثير:صَرَّحَ بَعْضُهُم بِالرُّؤْيَةِ بِالعَيْنَيْنِ، واختاره ابن جرير وبالغ فيه، وتَبِعَهُ على ذلك آخرون من المتأخرين[7].

---

[1] سورة لقمان، آية: (٣٤).

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ٥٣ ومن سورة والنجم، رقم (٣٢٧٨) (ج ص٣٩٤)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «**نُورٌ أنَّي أرَاهُ**» وفِي قَوله: «**رَأَيْتُ نُورًا**»، رقم: (١٧٨) (ج١ ص١٦١)، ومعناه: حجابه النور فكيف أراه؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى، ومعناه: أن النور منعني من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه.

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٦)، و«فتح الباري» (ج١٣ ص٤٩٢)، و«التمهيد» (ج٢٠ ص٢٦٨).

[5] هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، أبو الحسن . ولد بالبصرة وسكن بغداد إمام المتكلمين ومشارك في بعض العلوم، كان شافعي المذهب وتفقه على أبي إسحاق المروزي . رد على الملحدة والمعتزلة والشيعة والجهيمة والخوارج وغيرهم .توفي سنة ٣٢٤ هـ من تصانيفه: التبيين عن أصول الدين وخلق الأعمال؛ كتاب الاجتهاد. ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن السبكي (ج٢ ص٢٤٥)، و«معجم المؤلفين» (ج٧ ص٣٥).

[6] «الشفا» (ج١ ص١٩٨).

[7] «سيرة ابن كثير» (ج٢ ص١,١).

ثانيهما: ما روي عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سُئِلَ هَل رَأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ قال: نعم رأى كَأنَّ قَدَمَيْهِ عَلى خُضْرَةٍ دُونَهُ سِتْرٌ مِن لُؤلؤ، فقلت: يا ابن عباس أليس يقول الله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾؟[1]، قال: يا لا أم لَك ذَاكَ نُوْرُه، وَهُوَ نُوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء[2].

وروى عطاء [3] عن ابن عباس أيضًا: «أنه رآه بقلبه»[4].

وعن أبي العالية عنه أيضًا: «رآه بفؤاده مرتين»[5].

وذكر ابن إسحاق[6] أنَّ: عَبْدَ الله بن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله: هل رأى محمد ربه ؟ فقال: نعم[7].

---

[1] سورة الأنعام آية: (١,٣).

[2] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، رقم: (٣٢٣٤) (ج٢ ص٣٤٦)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه».

[3] هو عطاء بن أسلم أبي رباح، يكنى أبا محمد، من خيار التابعين، من مولدي الجند (باليمن) كان أسود مفلفل الشعر . معدود في المكيين . سمع عائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وأم سلمة، وأبا سعيد . ممن أخذ عنه الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنهم جميعًا . وكان مفتي مكة . شهد له ابن عباس وابن عمر وغيرهما بالفتيا، مات بمكة سنة ١١٤ هـ. يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٥ ص٢٩)، و«التهذيب» (ج٧ ص١٩٩).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ رقم: (١٧٦) (ج١ ص١٥٨).

[5] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ رقم: (١٧٦) (ج١ ص١٥٨).

[6] هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله، القرشي المطلبي المدني: مؤرخ، حافظ، وهو من أقدم مؤرخي العرب ومن حفاظ الحديث، رأى أنسا وابن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن توفي (سنة: ١٥١ هـ). يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٩ ص٣٨)، و«الأعلام» (ج٦ ص٢٥٢).

[7] «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الناشر: مكتبة الرشيد – الرياض الطبعة الخامسة، (١٩٩٤)، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، (ج٢ ص٤٨٣)، و«العلل المتناهية»، كتاب التوحيد، باب في النزول، (ج١ ص٣٧).

ويؤيده: ما رُوِيَ عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال ﷺ: «**إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَثْقَلْتُ نَوْمًا فَرِأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ، فَقَالَ فِيْمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى**»[1].

وفي رواية عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**، – قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ – **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟**» قَالَ: «**قُلْتُ: لَا**»، قَالَ: «**فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ**» أَوْ قَالَ: «**فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ ...** »[2].

والثالث: أطلقوا الرؤية بدون تقييد، وممن أطلق الرؤية: أبو هريرة، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما[3].

قال النووي: الراجح عند أكثر العلماء أنه ﷺ رأى رَبَّهُ بِعَيْنَي رَأسِهِ ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره، وإثبات هذا لا يكون إلا بالسماع مِن رَسُول الله ﷺ، وَلَم تَعْتَمِد عائشة في نفي الرؤية على حديث رسول الله ﷺ، وإنما اعْتَمَدَت الاستِنْبَاطَ مِنَ الآيات[4].

وعند السُّهَيْلِيّ[5] ما يؤيد ذلك فقد قال: قال الزهري[1]: لَيْسَت عائشة أعلَمَ عِنْدَنَا مِنْ ابنِ عَبَّاسٍ[2].

---

[1] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، من سورة ص، رقم: (٣٢٣٥) (ج٥ ص٣٦٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، من سورة ص، رقم: (٣٢٣٣)، (ج٥ ص٣٦٦).

[3] «سيرة ابن كثير» (ج٢ ص١,١).

[4] «شرح السيوطي على مسلم» (ج١ ص٢٢٢).

[5] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم، الخثعمي، السهيلي، الأندلسي، المالكي، محدث، حافظ، مؤرخ، نحوي، مقرئ، أديب . أخذ القراءات عن سليمان بن يحيى وغيره . من تصانيفه : التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، والقصيدة العينية، والروض الأنف، ونتائج الفِكَر، وكتاب شرح آية الوصية في الفرائض، ومسألة رؤية الله ﷻ في المنام توفي (سنة ٥٨١ هـ)، و«شذرات الذهب» (ج٤ ص٢٧١)، و«معجم المؤلفين» (ج٥ ص١٤٧).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ما يلي:

١- روى عبد الله بن الحارث، قال: اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله عنهما فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً قد رأى رَبَّهُ مَرَّتَيْن، فَكَبَّر كَعْبٌ حَتَّى جاوَبَتْهُ الجبال[٣].

٢- روى عن أبي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية، قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم رَبَّهُ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنَّ الله اصطفى إبراهيم بالخلَّةِ، واصْطَفَى مُوسَى بِالكَلَامِ، واصطفى محمد بالرُّؤْيَةِ، وعَن ابنِ عباس رضي الله عنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي: لقد رأى محمد ربه[٤].

٣- وحُكِيَ أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه[٥]، ورواية أبي هريرة قد روي عنه ما يعارضها، فقد حكي ابن إسحاق أن مَرْوَانَ سَألَ أَبَا هُرَيْرَةَ، هل رأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فقال: نعم.

٤- وحَكَى عبد الله بن أحمد بن حنبل[٦]، عن أبيه، أنه قال: رآه، وعن ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[٧]، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام.

٥- وقال القاضي أبو الفضل: والحق الذي لا امتراء فيه: أنَّ رُؤْيَتَه تعالى في الدنيا جائِزَةٌ عَقْلاً، وَلَيْسَ فَي العَقْلِ مَا يُحِيْلُها[٨].

---

[١] هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، من بني زهرة، من قريش، تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام، هو أول من دون الأحاديث النبوية، ودون معها فقه الصحابة، توفي (سنة ١٢٤ هـ). «الأعلام» للزركلي (ج٧ ص٣١٧).

[٢] «الروض الأنف» (ج١ ص١٩٣).

[٣] «العلل المتناهية»، كتاب التوحيد الجزء الثاني: باب ذِكْرِ أخْبَارٍ رُوِيَت عن عائشة رضي الله عنها، (ص: ٥٦١)، و«الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٦).

[٤] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٥١٢)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[٥] «الشريعة» (ج١ ص٤٩٥).

[٦] هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، من بني ذهل بن شيبان الذين ينتمون إلى قبيلة بكر بن وائل . إمام المذهب الحنبلي، وأحد أئمة الفقه الأربعة . أصله من مرو، وولد ببغداد . امتحن في أيام المأمون والمعتصم ليقول بخلق القرآن فأبى. ولما توفي الواثق وولي المتوكل أكرم أحمد، ومكث مدة لا يولي أحدًا إلا بمشورته، له المسند وفيه ثلاثون ألف حديث والمسائل والأشربة وفضائل الصحابة توفي (سنة: ٢٤١ هـ) يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج١ ص١٩٢).

[٧] سورة الشرح، آية: (١).

[٨] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٨)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٩٥).

والدليل على جوازها في الدنيا: سؤال موسى عليه السلام لها، ومُحَالٌ أنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ ما يجوز على الله، وما لا يجوز عليه؛ بل لم يسأل إلا جائزًا غَيْرَ مُسْتَحيل، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا مَن عَلَّمَهُ الله، فقال له الله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [1]، أي لن تطيق، ولا تحتمل رؤيتي، ثم ضرب له مثلاً مما هو أقوى مِن بِنْيَةِ موسى وأثبت، وهو: الجَبَلُ.

وَكُلُّ هذا ليس فيه ما يُحِيْلُ رؤيته في الدنيا؛ بل فيه جوازها على الجملة، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها؛ إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة.

ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لاختلاف التأويلات في الآية، وإذ ليس يقتضي قول من قال بعدم الوقوع في الدنيا: الاستِحَالَة[2].

وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية، وعدم استحالتها على الجملة، وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار، وقيل لا تدركه الأبصار: لا تحيط به، وهو قول ابن عباس، وقد قيل: لا تدركه الأبصار، وإنما يدركه المُبْصِرُون، وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها، وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ، وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [3] لِمَا قدَّمناه؛ ولأنها ليست على العموم؛ ولأن مَن قال: معناها: لن تراني في الدنيا؛ إنما هو تأويل، وقوله: ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ، أي: مِن سُؤالِي مَا لَم تُقَدِّرْهُ لِي.

وقوله: ﴿ لَنْ تَرَانِي﴾، أي: ليس لِبَشَرٍ أن يطيق أن ينظر إلَيَّ في الدنيا، وأنه مَن نَظَر إلَيَّ مَاتَ[4].

قال القاضي عياض: وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه: إن رؤية تعالى في الدنيا ممتنعة، لِضَعْفِ تَرْكِيب أهل الدنيا، وقُواهم[5].

---

[1] سورة الأعراف آية: (١٤٣).

[2] «الشريعة» (ج١ ص٤٩٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨٩).

[3] سورة الأعراف آية: (١٤٣).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩١).

[5] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٩).

وقد ذكر القاضي أبو بكر – في أثناء أجوبته عن الآيتين – ما معناه: إن موسى عليه السلام رأى الله، فلذلك خَرَّ صَعِقًا، وإنَّ الجَبَلَ رَأى رَبَّهُ فَصَارَ دَكًا بإدراكٍ خَلَقَهُ الله لَهُ واستنبط ذلك، والله أعلم، من قوله: ﴿وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾[1]، وتجلِّيه للجَبَلِ هُو ظُهُورُهُ لَهُ حَتَّى رَآه على هذا القول.

وقال جعفر بن محمد [2]: شَغَلَه بِالجَبَل حَتَّى تجلى، ولولا ذلك لمات صَعِقًا بِلا إفاقة، وقوله هذا يدل على أن مُوسى رآه.

وقد وقع لبعض المفسرين – في الجبل – أنه رآه، وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له، إذ جعله دليلاً على الجواز، ولا مِرْيَةَ فِي الجواز؛ إذ ليس في الآيات نَصٌّ بِالمنع[3].

وأما وجوبه لنبينا ﷺ، والقولُ بأنَّه رَآه بِعَيْنِه: فَلَيْسَ فِيه دَلِيلٌ قَاطِعٌ وَلَا نَصٌّ؛ إذ المُعَوَّلُ فِيه على آيَتَيِ النَّجْمِ، والتنازُعُ فِيْهِمَا مَأثور، والاحتمال لَهُمَا مُمْكِنٌ، ولا أثرَ قَاطِعٌ مُتَوَاتِرٌ عن النبي ﷺ بذلك[4].

وأما حديث ابن عباس فخبَرٌ عن اعتقاده،لَم يُسْنِدْهُ إلى النبي ﷺ وحديث معاذ مُحْتَمِلٌ للتأويل، وهو مُضْطَرِبُ الإسناد والمتن.

وحديث أبي ذر مُخْتَلِفٌ مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ،حيث رُوِيَ: «**نُورٌ آنَّي أرَاهُ**»، وفي حديثه الآخر: سألته، فقال: «**رَأيْتُ نُوْرًا**»، وليس يُمْكِنُ الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية، فإن كان الصحيح: (رأيتُ نورًا) فهو قد أخْبَرَ أنه لَم ير الله، وإنما رأى نورًا منعه وحجبه عن رؤية الله، وإلى هذا يرجع قوله: (نُورٌ أنَّى أرَاه) أي: كيف أراه مع حجاب النور المُغْشِي للبَصَرِ، وهذا مثل

---

[1] سورة الأعراف آية: (١٤٣).

[2] هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الهاشمي، المدني الملقب الصادق أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان من سادات أهل البيت فقهًا وعلمًا وفضلاً. توفي(سنة: ١٤٨ هـ).
يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص١,٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (ج١ ص١٤٩).

[3] «الشفا» (ج١ ص٢٠٠ – ١,٢).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩١).

ما في الحديث الآخر: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»، وفي الحديث الآخر: «**لَم أرَهُ بِعَيْنِي، وَلَكن رَأيْتُهُ بِقَلْبِي مَرَّتَيْنِ، وَتَلَا: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾**»، والله قادر على خلق الإدراك الذي في البَصر في القلب، أو كيف شاء، لا إله غيره، فإن ورد حديث نَصٌّ بَيِّنٌ فِي الباب اعتُقِدَ ووَجَبَ المَصِيْرُ إليه؛ إذ لا استِحَالَةَ فيه، ولا مانِعَ قَطْعِي يَرُدُّه[1].

ورَجَّحَ ابنُ تَيْمِيَةَ أنه ﷺ لَم يَرَهُ فقال: وقد اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ لم يَرَ رَبَّهُ بَعَيْنَيْهِ في الأرْضِ[2].

ثم رد علي الآراء الأخرى فقال: وأما قول ابن عباس: «أنه رآه بفؤاده مرتين» فإن كان استناده إلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[3] ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[4]، والظاهر أنه مستنده فقد صح عنه ﷺ أن هذا المرئي جِبْرِيلُ، رَآه مرتين في صورته التي خُلِقَ عليها، وقَوْلُ ابنِ عَبَّاس هذا هو مستند الإمام أحمد في قوله: رآه بفؤاده[5].

وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ فهُوَ غَيْرُ الدُّنُوِّ والتَّدَلِّي فِي قصة الإسراء فإن الذي في (سورة النجم) هو: دُنُوُّ جبريل وتَدَلِّيهِ، كما قالت عائشة وابن مسعود والسياق يدل عليه فإنه قال ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[6] وهو جبريل: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ فَتَدَلَّىٰ دَنَا ﴾[7] فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المُعَلِّمِ الشَّدِيدِ القُوَى، وهُوَ ذُو

---

[1] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٢,٢).

[2] «مجموع الفتاوى» (ج٣ ص٣٨٧).

[3] سورة النجم، آية: (١١).

[4] سورة النجم، آية: (١٣).

[5] «زاد المعاد» (ج٣ ص٣).

[6] سورة النجم، آية: (٥).

[7] سورة النجم، آية: (٦)، (٨).

المِرَّةِ، أي: القُوَّةِ، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنى فتدلى، فكان من محمد ﷺ قَدْرَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى، فأما الدُّنُوُّ والتَّدَلِّي الذي في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دُنُوُّ الرَّبِّ تبارك، وتدليه، ولا تَعَرُّضَ في (سورة النجم) لذلك؛ بل فيها أنه: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ وهذا هو جِبْرِيل رآه محمد ﷺ على صورته مرتين: مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى[1] .

١٣) مِنْ خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّة ﷺ: أن الله نصره على الأعداء بالرُّعْبِ.

وهذه خصيصة له ﷺ لَم تثبت لأحد من الأنبياء قبله ﷺ من غير خلاف، وكما هو ظاهر النص الشريف[2]، **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [3].

٢- وعن النبي ﷺ فيما رواه: أبو ذر، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أنه قال: «**أعْطِيْتُ خَمْساً - وفي بعضها: سِتًّا - لَم يُعْطَهُن نَبِيٌّ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَت لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوْراً، وَأيُّمَا رَجُلٍ مِن أمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ، وَلَم تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ**»[4].

وهذا مما خُصَّ به عَلَى سَبِيْلِ التَّفْضِيلِ، كما هو نَصُّ الحَدِيث: «فُضِّلْتُ عَلَى الأنْبِيَاء»، وهي من معجزاته ﷺ بلا خلاف؛ لأن الله أعطاه إياها، وتحدى بها، فهي ليست في مقدور أحد الإتيان بها

---

[1] «زاد المعاد» (ج٣ ص٣)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣ - ص٦٥).

[2] انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: نصرت بالرعب.

[3] سورة الأنفال، آية: (١٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب التيمم، رقم: (٣٢٨) (ج١ ص١٢٨)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢١) (ج١ ص٣٧٠).

من عند نفسه، وإنما هي فعل الله، وعطاء الله الذي يعطيه مَن شَاءَ؛ لِيُكْرِمَ بِه من شاء، على من شاء، بما شاء، وكيف شاء سبحانه.

١٤) مِنْ خَصَائِصِهِ الإِعْجَازِيَّةِ ﷺ: أن الله أخَذَ المِيْثَاقَ عَلَى النبيين أن يُؤْمِنُوا به ﷺ.

اتفق العلماء على: أن الله أخذ ميثاق النبيين أجمعين على الإيمان بالنبي محمد ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ [١]، هذه واحدة من خصائصه الإعجازية، والتي لم يجعلها الله لأحد إلا للنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء جميعًا، وهي تعني التكريم والتفضيل الذي ليس لأحد إلا النبي ﷺ، كأنَّهُ لا يمكن لنبي أن يكون نبيًا إلا بعد أن يؤمن هو بالنبي محمد ﷺ فهو نَبِيُّ الأنبياء، **قال ابن كثير**: قال علي بن أبي طالب، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: مَا بَعَثَ الله نبيًا من الأنبياء إلا أخَذَ عَلَيْهِ الميثاق: لَئِنْ بَعَثَ الله مُحَمَّدًا وهو حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به وَيَنْصُرَنَّهُ، وأمَرَهُ أن يأخُذَ الميثاق على أمَّتِهِ: لَئِن بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُم أحْيَاءُ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ[٢].

وقال طاوس[٣]: أخَذَ الله مِيثَاق النبيين أن يُصَدِّقَ بعضُهُم بعضاً، وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا يَنْفِيه؛ بل يستلزمه ويقتضيه[٤].

وكل ذلك من أجل الإيمان به ﷺ، وعن عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر إلى النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟

---

[١] سورة آل عمران، آية: (٨١).

[٢] «تفسير ابن كثير» (ج١ ص٥,٢).

[٣] هو: طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، أبو عبد الرحمن، أصله من الفرس، مولده ومنشؤه في اليمن، من كبار التابعين في الفقه ورواية الحديث، كان ذا جرأة على وعظ الخلفاء والملوك، توفي حاجا بالمزدلفة أو منى (سنة: ١,٦ هـ)، وصلى عليه أمير المؤمنين هشام أبن عبد الملك. يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٥ ص٨)؛ ووفيات الأعيان (ج١ ص٢٣٣).

[٤] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١)، و«عظم قدره» (ص: ٢٩).

قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى؛ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»**[1].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ، وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»**[2].

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، المقدم على الأنبياء كلهم، الذي نسخ الله برسالته الرسالات السابقة كلها؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لَمَّا اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب ﷻ، لفصل القضاء بين عباده، وهو صاحب المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين،حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه، فناسب ذلك أن يكون الأنبياء أول من يؤمنوا به، وأن يؤخذ عليهم الميثاق بذلك؛ وليبشروا به أقوامهم.

وهذا المعنى لم يكن لأحد إلا للنبي ﷺ، فاجتمع فيه من وجوه الإعجاز والخصوصية له ﷺ ما يدل على تفضيله وتعظيمه ﷺ على الأنبياء والخلق جميعًا.

قال الإمام البغوي[3] في تفسيره للآية: وقال بعضهم: أخذ الله الميثاق على النبيين وأُمَمِهِم جميعاً في أمر محمد ﷺ، فاكتفى بذكر الأنبياء؛ لأن العهد مع المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى

---

[1] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث عبد الله بن ثابت ﷺ، رقم: (١٥٩,٣) (ج٣ ص٤٧٠).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله ﷺ، رقم (١٤٦٧٢) (ج٣ ص٣٣٨)، وقال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف مجاهلد : وهو ابن سعيد»، وفي «مسند أبي يعلى»، تابع مسند جابر، رقم (٢١٣٥) (ج٤ ص١,٢)، و«عظم قدره» (ص: ٣٠).

[3] البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، البغوي، شافعي، فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بغشور) من قرى خراسان بين هراة ومرو. (ت: ٥١٦ هـ)، من مصنفاته: «التهذيب» في فقه الشافعية؛ و«شرح السنة» في الحديث؛ و«معالم التنزيل» في التفسير ، ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (ج٢ ص٢٨٤)؛ و«ابن الأثير» (ج٦ ص١,٥).

قول ابن عباس، وقال علي بن أبي طالب: لَم يَبْعَث الله نبياً – آدم ومن بعده – إلا أخذ عليه العهد في أمْرِ مُحَمَّدٍ، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به، ولئن بُعِثَ وَهُم أحْيَاءُ لَيَنْصُرُنَّهُ.

والمعنى: {ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم}، يعني: محمدًا ﷺ، ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾، يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم كالمصابيح والسُّرُجِ، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ، قال:﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾[1]، أي: قَبِلْتُم على ذلكم عهدي، والإصْرُ: العهد الثقيل، ﴿قالوا أقررنا ﴾، قال الله تعالى: ﴿ فَاشْهَدُوا﴾ ، أي: فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِين﴾ عليكم وعليهم[2].

١٥) مِنْ خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّةِ: خاتِم النُّبُوَّة الذي خصه الله به دون غيره:

وخاتِم النبوة: بكسر التاء أي: فاعل الختم، وهو الإتمام والبلوغ إلى الآخر[3]، وبفتح التاء بمعنى: الطابع، ومعناه: الشيء الذي هو دليل على أنه لا نبي بعده[4].

ووجه الخصوصية أنه: لم يكن لأحد من الأنبياء ذلك.

ووجه الإعجاز أن: ذلك ليس من فعل البشر، ولا من مقدورهم، ولن يستطيعوا عليه، فهو أمر جعله الله تعالى لحبيبه زيادة في تعظيمه، وتفضيله على غيره؛ وليقيم به الحجة على كل من كذبه، وخالفه، وقد كان من علاماته في الكتب السابقة؛ ولهذا أسلم كثير من الناس برؤياه؛ لأنه من علاماته.

---

[1] سورة آل عمران، آية: (٨١).

[2] «تفسير البغوي» (ج١ ص٦١).

[3] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٣).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١)، و«عظم قدره» (ص: ١٤٦).

ونقل العَيْنِيُّ[1] عن القاضي البيضاوي[2]: خاتم النبوة أثر بين كتفيه نُعِتَ به، وكان علامة يُعْلَمُ بها أنه النبي الموعود، وصيانة لنبوته عن تَطَرُّقِ القدح إليها، وهل ولد النبي ﷺ بخاتم النبـــوة؟ أو وضع حين ولد؟ أو ثم شق صدره؟ أوحين نبيء؟[3].

أقوال: قال الحافظ: أثبتها الثالث، وبه جزم عياض[4].

وجاء في صحيح البخاري وصفه بأنه: مثل زِرِّ الحَجَلَةِ، فعن السائب بن يزيد يقول: ذهبـــت بي خالتي إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيـــه مثـــل زر الحَجَلَةِ[5] وعن جابر بن سمرة ﷺ: كأنه بيضة حمامة[6].

و عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ، وأكلت معه خبزًا ولحمًا، أو قال ثريدًا، قـــال: فقلت له أستغفر لك النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

[1] هو: محمود بن أحمد بن موسى، أبو الثناء وأبو محمد، قاضي القضاة بدر الدين العيني، أصله من حلب، ومولده في عينتاب (وإليها نسبته): فقيه حنفي، ومؤرخ من كبار المحدثين، تفقه على والده، وكان فصيحًا باللغتين العربية والتركية. برع في الفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم، دخل القاهرة، وولي الحسبة مرارًا، ولي عدة تداريس ووظائف دينية، أفتى ودرّس وأكب على الاشتغال إلى أن ولي نظر السجون ثم قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية، توفي (سنة: ٨٥٥ هـــ). مِن تصانيفه: عمدة القارئ في شرح البخاري؛ والبناية في شرح الهداية. يراجع: «الجواهر المضية» (ج٢ ص١٦٥)، و«الفوائد البهية» (ص: ٢,٧)، و«شذرات الذهب» (ج٧ ص٢٨٦).

[2] هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين، أبو سعيد، البيضاوي، الشيرازي، الشافعي، والبيضاوي نسبة إلى البيضاء قرية من عمل شيراز: فقيه، مفسر، أصولي، محدث، ولي قضاء القضاة بشيراز، توفي (سنة: ٦٨٥ هـــ)، من تصانيفه: منهاج الأصول إلى علم الوصول، والغاية القصوى في دراسة الفتوى، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وشرح مصابيح السنة. يراجع: «طبقات الشافعية» (ج٥ ص٥٩)، و«البداية والنهاية» (ج١٣ ص٣,٩)، و«مرآة الجنان» (ج٤ ص٢٢).

[3] «عمدة القاري» (ج٣ ص٧٨٠)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٧).

[4] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص٩٨)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٣١).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، رقم: (١٨٧) (ج١ ص٨١)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله، رقم: (٢٣٤٥).

[6] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحلة ﷺ، رقم: (٢٣٤٤)، (ج٤ ص١٨٢٢).

وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [1] قال: ثم دُرْتُ، فَنَظَرْتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعًا عليه خيلان كأمثال الثآليل[2].

قال الجمهور: الناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك، سمي ناغضًا؛ لتحركه «جمعًا» معناه: أنه كجَمْعِ الكَفِّ، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتَضُمَّها، «خيلان» جمع خال وهو: الشامة في الجسد، «الثآليل» جمع ثُؤلُول، وهي: حبيبات تعلو الجسد[3].

وقال ابن حجر: وأما ما وَرَدَ مِن أنَّها كانت كأثر مِحْجَمٍ، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء أو مكتوب عليها محمد رسول الله، أو: سِر فَأنْتَ المَنْصُورُ، أو نحو ذلك: فلم يثبت منها شيء، والحق ما ذكرته، ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان، فإنه غفل حيث صَحَّح ذلك[4].

ونقل ابن حجر عن القرطبي[5] قوله: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر في كتفه الأيسر قدره قدر بيضة الحمامة[6].

والسر في ذلك أن: القلب في تلك الجهة، وقال السُّهَيْلِيُّ: وضع خاتم النبوة عند نغض كتفه ﷺ؛ لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع يدخل منه الشيطان[7].

---

[1] سورة محمد، آية: (١٩).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحلة من جسده ﷺ، رقم: (٢٣٤٦) (ج٤ ص١٨٢٣).

[3] صحيح مسلم (ج٤ ص١٨٢٣).

[4] «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٦٣).

[5] هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح: أندلسي من أهل قرطبة، أنصاري، من كبار المفسرين، رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن الخصيب (شمالي أسيوط - بمصر) وبها توفى (سنة: ٦٧١ هـ)، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن؛ والتذكرة بأمور الآخرة ؛ والأسنى في شرح الأسماء الحسنى، يراجع: «الديباج المذهب» (ص: ٣١٧)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٢١٨).

[6] «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٦٣).

[7] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٧)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣).

١٦) من خصائصه الإعجازية: تَشْدِيدُ الحِرَاسَةِ عَلَى السَّمَاءِ بِمَوْلِدِه ﷺ.

من خصائصه حراسة السماء من استراق السمع بالمبعث الشريف[١]، وقد بَيَّنَ الله هذه الخصيصة في القرآن عندما أخبر عن الجن قولهم حين بعث النبي ﷺ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: إن الكُهَّانَ قَد كانوا يُحَدِّثُونَنَا بالشيء، فيكون حقًا. قال: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِن الحَقِّ يَخْطِفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَزِيْدُ فِيها أكْثَرَ مِن مِائَةِ كِذْبَةٍ**»[٣].

وعن ابن عباس قال: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» ثُمَّ قَالَ: «**الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ،**

---

[١] «الخصائص الكبرى» (ج١ ص١٨٠).

[٢] سورة الجن، آيات: (٨)، (٩).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: قول الرجل للشيء ليس بشيء، وهو ينوي أنه ليس بحق، رقم: (٥٨٥٩)، وأخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، رقم: (٢٢٢٨)، (ج٤ ص١٧٥٠).

وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ»[1]، **وقال الزهري:** ثم إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم، فانقطعت الكهانة فلا كهانة[2].

وقال أيضا : غَلُظَ أمْرُهَا واشتَدَّ حينَ بُعِثَ النبي ﷺ، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾ أي: زِيْدَ فِي حراسة السماء[3].

ووجه الخصوصية في ذلك: ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: لم تكن سَمَاءُ الدنيا تُحْرَسُ في الفَتْرَةِ بين عيسى ومحمد، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث الله تعالى محمدًا حرست السماء، فأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾[4]، فهذا يعني أنها لم تكن تُحْرَسُ قَبْلَ البَعْثَةِ مُطلقًا، أو لم تَكُن الحراسة الشديدة حتى بعث ﷺ، فَمُلِئَت حَرَسًا شديدًا وشهبًا[5]، فكان ذلك مِن خصائصه الدالة على عظيم قدره عند رب العالمين[6].

١٧) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية: أنْ جَعَلَ الله لَهُ ولِأُمَّتِهِ الأرض مسجدًا وطهورًا.

وهذه خصيصة ليست لأحد إلا للنبي ﷺ، حيث جعل الله له الأرض كلها موضع سجود، لا يختص السجود منها بِمَوْضِع دون غيره، كما هو نص الحديث، وإن ذلك من الخصائص التي فضل الله بها نبيه ﷺ على الأنبياء، وأنه لا يستطيع أحد أن يَدَّعِيها لنفسه؛ لأنها فعل الله تعالى الذي يفضل من شاء، على من شاء، بما شاء وكيفما شاء.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم: (٢٢٢٩) (ج٤ ص ١٧٥٠).

(٢) ذكر ذلك السيوطي في: «الدر المنثور» (ج٨ ص٣,٣).

(٣) «فتح الباري» (ج٨ ص٦٦٩).

(٤) سورة الجن، آية: (١٠).

(٥) صحيح البخاري (ج٥ ص٤٦)، و«عظم قدره» (ص: ٢٣٠).

(٦) «فتح الباري» (ج٨ ص٦٦٩).

وقيل المراد: جُعِلَت لِي الأَرْضُ مسجدًا وطهورًا وجعلت لغيري مسجدًا و لم تجعل طهورًا؛ لأن عيسى كان يُسَبِّحُ في الأرض، حيث أدركته الصلاة.

وقيل: إنما أُبِيْحَت لهم في موضع يتَيَقَّنُونَ طهارته، بخلاف هذه الأمة، فأبيح لها في جميع الأرض، إلا فيما تيقنوا نجاسته.

والراجح والأظهر: ما قاله الخطابي[1]، وهو أن مَن قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة كالبِيَعِ، والصوامع.

ويؤيد ذلك أحاديث كثيرة من أهمها ما يلي:

١- روي عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[2].

وفي رواية عمرو بن شعيب بلفظ: «**وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِم**»، وهذا نص في موضع النزاع مثبت للخصوصية[3].

٢- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُطْعِمْتُ الْمَغْنَمَ، وَلَمْ يَطْعَمْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَلَيْسَ**

---

[1] هو: أبو سليمان الخطابي: أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي، من أهل كابل، من نسل زيد بن الخطاب: فقيه محدث، قال فيه السمعاني: إمام من أئمة السنة، توفي (سنة: ٣٨٨هـ)، مِن تآليفه: «معالم السنن» في شرح أبي داود؛ وغريب الحديث، وشرح البخاري، والغنية، يراجع: «معجم المؤلفين» (ج١ ص١٦٦)، و«طبقات الشافعية» (ج٢ ص٢١٨).

[2] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[3] أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، رقم: (٧,٦٨)، (ج٢ ص٢٢٢).

مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِي دَعْوَةً فَتَعَجَّلَها، وَإِنِّي أَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ بَالِغَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[1].

١٨) مِن خَصَائِصِهِ الإِعْجَازية ﷺ: أنَّ الله غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذُنْبِهِ ومَا تَأخَّرَ.

مِن الخصائص المحمدية التي مَنَّ الله بها على خير البرية ﷺ، والتي أعطاه إياها على سبيل التعظيم، والتكريم، والإعجاز، والتشريف، والتفضيل، وأنها كرم من الله، وفضل و لم تكن لأحد إلا للنبي ﷺ، فإنه أُعطي ذلك مِن غير ذنب.

بدليل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ ففي هذا الاختصاص أسرار وعطاءات لا يعلمها إلا من أعطاها، وهذا تأهيل من الله لنبيه للمقام المحمود، والشفاعة العظمى، وحتى لا يذهل من كرب يوم القيامة، أو يزلزل من زلزلة الساعة، رفع الله عنه مجرد التفكير في هذا الأمر، بأن طمأن قلبه وهنأه بالمغفرة، وسجل ذلك في القرآن؛ ليكون معجزة باقية إلى يوم الدين **يؤيد ذلك ما رواه** أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2]، في مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ : «**لَقَد أنْزِلَت عَليَّ آيَةٌ أحَبُّ إلَيَّ مِمَّا عَلَى وَجْهِ الأرْضِ**»، ثم قرأها النبي ﷺ عليهم فقالوا: هنيئًا مريئًا يا رسول الله، لقد بَيَّنَ الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا.....﴾ حتى بلغ: :﴿ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3].

---

[1] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[2] سورة الفتح، آية: (٢).

[3] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الفتح، رقم (٣٢٦٣) (ج٥ ص٣٨٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد في مسنده، رقم: (١٢٣٩٧) (ج٣ ص١٣٤).

واختلف أهل التأويل في معنى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ}، فقيل: مَا تَقَـــدَّمَ مِن ذَنْبِكَ قَبْلَ الرسالة، وما تأخر بعدها، قاله مجاهد[1].

قال الطَّبَرِيُّ[2]: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى قوله ﴿تَوَّاباً﴾، ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قَبْلَ الرِّسَالَةِ، وما تأخر إلى وقت نزول هذه الآية[3].

وقال سفيان الثوري في معناها: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك: ما عَمِلْتَهُ في الجاهلية من قبل أن يوحى إليك، وما تأخر يعني: كُل شيء لَم تَعْمَلْهُ[4].

وما قاله الواحِدِيُّ[5]: قال القَاضِي عِياض معلقًا على بدايات سورة الفتح: تضمنت هذه الآيات من فضله: الثناء عليه، وكريم منزلته عند الله تعالى، ونعمته لديه؛ ما يقصر الوصف عن الانتـــهاء إليه، فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره، وغلبته على عدوه، وعلـــو كلمته وشريعته، وأنه مغفور له، غير مؤاخذ بما كان وما يكون.

قال بعضهم: أراد غفران ما وقع، وما لم يقع، أي: إنك مغفور لك.

وقيل: يفتح مكة والطائف[6].

وقيل: يرفع ذكرك في الدنيا، وينصرك، ويغفر لك، فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكـــبري عدوه له، وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له، ورفع ذكره، وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنـــة،

---

(1) «تفسير القرطبي» (ج١٦ ص٢٢٤).

(2) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر . من أهل طبرستان، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، من أكابر العلماء . كان حافظًا لكتاب الله، فقيهًا في الأحكام، عالمًا بالسُّنن وطرقها، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، رحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة من تصانيفه: "اختلاف الفقهاء "؛ و"كتاب البسيط في الفقه"؛ و"جامع البيان في تفسير القرآن"؛ و"التبصير في الأصول". توفي (سنة: ٣١٠ هـــ)، يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٢٩٤)؛ و«هدية العارفين» (ج٦ ص٢٦».

(3) «تفسير الطبري» (ج٨ ص١٢٩).

(4) «تفسير القرطبي» (ج١٦ ص٢٢٤)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص٢٩٧).

(5) «عظم قدره» (ص: ١١)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩).

(6) «الشفا» (ج١ ص٤٩).

والسعادة، ونصره النصر العزيز، ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة، التي جعلها في قلوبهم، وبشارتهم بما لهم بعد، وفوزهم العظيم، والعفو عنهم، والستر لذنوبهم، وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة، ولعنهم وبعدهم من رحمته، وسوء منقلبهم، ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[1]، فعد محاسنه وخصائصه، من شهادته على أمته لنفسه، بتبليغه الرسالة لهم.

وقيل: شاهداً لهم بالتوحيد، ومبشرًا لأمته بالثواب، وقيل: بالمغفرة ومنذرًا عدوه بالعذاب، وقيل: ينصرونه، وقيل: يبالغون في تعظيمه، ويوقروه، أي: يعظموه[2].

وقرأه بعضهم: تعززوه – بِزَاءَيْنِ –: مِن العِزّ، والأكثر والأظهر أن: هذا في حق محمد ﷺ ثم قال: «وتسبحوه»، فهذا راجع إلى الله تعالى.

وهذا يعني أن الله تعالى جمع للنبي ﷺ في هذه السورة نِعَمًا مُختلفة، من: الفتح المبين؛ وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة؛ وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة؛ وهي من أعلام الاختصاص، والهداية؛ وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة، والهداية، وهي الدعوة إلى المشاهدة[3].

١٩) من خصائصه الإعجازية: أنَّ الله أعْطَاهُ جَوَامِعَ الكَلِمِ.

لا خلاف بين العلماء في أن: الله سبحانه وتعالى بعث الحبيب محمدًا ﷺ بجوامع الكلم، وخصَّهُ ببدائع الحِكَم[4]، وَلَم يَكُن ذَلك لأحد قبله، أو بعده، وجعل ذلك تحديًا للعالمين إلى يوم الدين،

---

[1] سورة الفتح، الآية: (٨)، (٩).

[2] «الشفا» (ج١ ص٤٩).

[3] «الشفا» (ج١ ص٥٠).

[4] «عظم قدره» (ص: ١١٧)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩).

وجعل ذلك من فضائله التي فضله الله بها، فهو الأمي الذي يتكلم بجوامع الكلم، يدل على ذلك ما في الصحيحين: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**»[1].

ومعنى «جوامع الكلم» كما قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « «جَوَامِعُ الكَلِمِ» - فيما بلغنا - أن: الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تُكْتَبُ في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين ونحو ذلك»[2].

وقال الزهري: أن المراد بجوامع الكلم: القرآن، بقرينة قوله: «**بُعِثْتُ**»، والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ، واتساع المعاني[3].

وهذا يعني: أنه ﷺ كان يتكلم بالقَوْلِ المُوْجَزِ القليلِ اللفظ الكثيرِ المعاني.

وخَرَّجَ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ، فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ**» - قَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - «**وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ**»[4].

ومن أمثلة جوامع الكلام في القرآن ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾[6].

ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية:

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ»، رقم: (٢٨١٥) (ج٣، ص١,٨٧)، وأخرجه مسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢٣).

[2] «جامع العلوم والحكم» (ج١ ص٤).

[3] «فتح الباري» لابن حجر (ج١٣ ص٢٤٧).

[4] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، رقم: (٦٦,٦) (ج٢ ص١٧٢).

[5] سورة البقرة، آية: (١٧٩).

[6] سورة النور، آية: (٥٢).

١- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيْهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[١].

٢- وحديث: «**كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ**»[٢].

٣- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم**»[٣].

٤- وأنه ﷺ قال: «**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنِهِ**»[٤].

و ذلك مما يَكْثُرُ بالتَّتَبُّعِ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه، والطريقُ إلى معرفة ذلك أن تقل مَخَارِجُ الحديث، وتتفق ألفاظه[٥].

٢٠) من خصائصه الإعجازية: مَا خَصَّهُ اللهُ وأَكْرَمَهُ بِه مِن قِتَالِ الملائكة مَعَهُ.

خَصَّ الله نبيه بأن أنزل الملائكة تقاتل معه في غزوات كثيرة، وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[٦]، وهذا واضح الدلالة علي المقصود وهي فضيلة ومعجزة للنبي ﷺ.

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم: (٢٥٥٠)، وأخرجه مسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: (١٧١٨)، (ج٣ ص١٣٤٣)، واللفظ للبخاري.

[٢] أخرجه النسائي، كتاب الطلاق، باب خيار الأمة تعتق وزوجها مملوك، رقم: (٣٤٥١) (ج٦ ص١٦٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رقم: (٢٥٨٢٧) (ج٦، ص٢١٣).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٦٨٥٨) (ج ٦ ص٢٦٥٨)، ومسلم في: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، وفي: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه، رقم: (١٣٣٧).

[٤] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، رقم: (٧٩٤٥) وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

[٥] «فتح الباري» (ج١٣ ص٢٥٤).

[٦] سورة آل عمران آية: (١٢٥).

ويؤيد ذلك من السنة: ما روي سعد بن أبي وقاص[1]، قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ، وعَن شِمَالِهِ يومَ أحُدٍ رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل، ولا بعد - يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام[2]، وفي الرواية الأخرى: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره يقاتلان عنه كأشد القتال[3].

قال النووي مبينا وجه الخصوصية والإعجاز: وفي الحديث بيان كرامة النبي ﷺ عند الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب، خلافًا لمن زعم اختصاص يوم بدر بذلك فقط، فهذا صريح في الرد عليه.

ويستفاد من الحديث أمور من أهمها:

١- فضيلة الثياب البيض على غيرها.

٢- أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء؛ بل يراهم الصحابة والأولياء.

٣- وفيه مَنْقَبَةٌ لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة[4].

---

[1] هو سعد بن مالك، واسم مالك أهيب بن عبد مناف بن زهرة، أبو إسحاق، قرشي، من كبار الصحابة، أسلم قديما وهاجر، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، وكان مجاب الدعوة، تولى قتال جيوش الفرس وفتح الله على يديه العراق، اعتزل الفتنة أيام علي ومعاوية، توفي بالمدينة سنة: ٥٥ هـ. «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٤٨٤).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد، رقم: (٢٣,٦) (ج٤، ص١٨,٢).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم (١٤٦٨) (ج١ ص١٧١).

[4] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج١٥ ص٦٦).

٢١) **من خصائصه الإعجازية ﷺ: أن ما بين بَيْتِهِ ومِنْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ.**

مما خص الله سبحانه وتعالى نبيه، وأكرمه به، و لم يُعْطِهِ أحَدًا من الأنبياء غيره، وَلَم يقدر عليه إلا الله تعالى: أن جعل بَعْضَ مَسْجِدِهِ ﷺ رَوْضَةً من رياض الجنة، وهي الأرض الواقعة ما بين بيته الذي يبيت فيه، ومنبره الذي يخطب عليه ﷺ روضة من رياض الجنة.

فعن عبد الله بن زيد المازني ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[1] كما أن مِنْبَرَهُ على حوضه ﷺ، وهذا وجه إعجاز آخر.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»[2]، وهذا لَم يُجْعَل لنبي قط إلا النبي المصطفى ﷺ حيث لم يرد عن أحد من الأنبياء أن جعل له ما بين بيته ومنبره روضة من الجنة، ولا بجوار قبره روضة من رياض الجنة، وإنما هذا فقط للنبي محمد ﷺ.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**مَن صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِيْنَ صَلَاةً لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ العَذَابِ، وَبَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»[3].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، رقم (١١٣٧) (ج١ ص٣٩٩)، وبأرقام: (٦٩,٤ – ٦٢١٦ – ١١٣٨ – ١٧٨٩)، ومسلم في الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم: (١٣٩٠)، (ج٢ ص ١٠١).

[2] أخرجه البخاري كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة، باب فضل مابين القبر والمنبر، وفي فضائل المدينة، بأرقام: (١٧٨٩ – ٦٢١٦ – ٦٩,٤)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم: (١٣٩١).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم: (١٢٦,٥) (ج٣ ص٥٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٣ ص٦٧٧)، رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

٢٢)- من خصائصه الإعجازية: انْشِقَاقُ القَمَرِ لَهُ.

مما خَصَّ الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أَنَّهُ أعطاه معجزة انشقاق القمر، وذلك عندما طلبت منه قريش أن يُرِيَهُم آية تدل على نبوته ورسالته ﷺ، فانشق القمر فلقتين[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**» وهي معجزة وَرَدَت في القرآن الكريم، فكان وَجْهُ التحدي الدائم بها قائم وخالد إلى يوم القيامة.

ووجه اختصاصه ﷺ بها أن هذه المعجزة لم تكن لأحد إلا له ﷺ **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- قال الله تعالى القمر: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٢].

٢- وعن أنس رضي الله عنه أن: أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[٣].

٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بِمِنَى، إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[٤].

٤- وعن جبير بن مطعم[١] عن أبيه قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ، حتى صار فرقتين على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أني يسحر الناس كلهم[٢].

---

[١] أخرجه البخاري كتاب المناقب باب انشقاق القمر، بأرقام: (٣٦٥٦ - ٣٦٥٨ - ٤٥٨٣ - ٤٥٨٤) (ج٣ ص١٣٣)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، رقم (٢٨,٢)، و(آية): معجزة وعلامة خارقة للعادة.

[٢] سورة القمر، آية: (١).

[٣] متفق عليه، واللفظ للبخاري ، زاد في رواية للبخاري: «فَأَرَاهُم القَمَر شقَّتَيْنِ»: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم (٣٤٣٧) (ج٣ ص١٣٣٠)، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر، رقم (٢٨٠٠) (ج٤ ص٢١٥٧).

[٤] متفق عليه، رواه البخاري كتاب: مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، (ج٦ ص٦٣١)، رقم (٣٦٣٦)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، رقم: (٢٨٠٠)، (ج٤ ص٢١٥٨).

قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، وقال الزجاج: قد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق الله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره[٣].

قال الإمام الخطابي[٤] رحمه الله مبينًا وجه الخصوصية، وسر الإعجاز: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم، وذلك أنه أمر ظهر في ملكوت السماء، خارج عن جملة طباع ما في العالم المركب من الطبائع الأربع، فيُطْمَع في نيله بحيلة وعلاج، وتأليف وتركيب، ونحوها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون، ويتصنع لها المتكلفون؛ فلذلك صار الخطب فيه أعظم، والبرهان به أظهر وأبهر[٥].

---

[١] هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا محمد: صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم، وكان يؤخذ عنه النسب، وكان للمطعم عند رسول الله ﷺ يد، قال: «فسمعته يقرأ الطور، فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي» وأسلم جبير بين الحديبية والفتح، له ٦٠ حديثًا، توفي (سنة: ٥٨ هـ). يراجع: «الأعلام» (ج٢ ص١,٣)، و«تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٦٣).

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب من سورة القمر، رقم (٣٢٨٩) (ج٥ ص٣٩٨)، وأحمد في مسنده، حديث جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه، رقم (١٦٧٩٦) (ج٤ ص٨١).

[٣] «صحيح مسلم» (ج٤ ص٢١٥٧).

[٤] هو: حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، أبو سليمان من أهل كابل، من نسل زيد بن الخطاب: فقيه محدث، قال فيه السمعاني: إمام من أئمة السنة، من تآليفه: معالم السنن في شرح أبي داود؛ وغريب الحديث؛ وشرح البخاري؛ والغنية. توفي سنة (٣٨٨ هـ). يراجع: «معجم المؤلفين» (ج١ ص١٦٦)؛ و«طبقات الشافعية» (ج٢ ص٢١٨).

[٥] «عمدة القاري» (ج١٦ ص١٦٢).

٢٣) من خصائصه الإعجازية: أنه ﷺ أعطي مفاتيح خزائن الأرض.

ومما خصه الله سبحانه وتعالى به دون غيره من الأنبياء أن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، والخلد فيها ثم الجنة، لكنه ﷺ اختار لقاء ربه تعالى والجنة، وفي هذا من الإعجاز والتعظيم، والتشريف والتفضيل ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

يؤيد ذلك ما يلي:

١- عن: أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وبَيْنَمَا أنَا نَائِمٌ أتِيْتُ بِمَفَاتِيْحِ خَزَائِنِ الأرْضِ، فَوُضِعَت بَيْنَ يَدَيَّ**»[(١)].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: عن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُوتِيتُ خَزَائِنَ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهَمَّانِي، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا الكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا: صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ اليَمَامَةِ**»[(٢)].

٣- وعن عقبة بن عامر[(٣)] ﷺ أن رسول الله ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ»، رقم (٢٨١٥) (ج٣، ص١,٨٧)، وأخرجه مسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم: (٤١١٦)، وأخرجه مسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ رقم: (٢٢٧٤)، و«شرح النووي» (ج١٥ ص٥٩).

(٣) هو عقبة بن عامر بن عيسى الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل غير ذلك، كان قارئًا عالمًا بالفرائض والفقه، قديم الهجرة والسابقة والصحبة، وهو أحد من جمع القرآن، روى عن النبي ﷺ وعمر، ولي إمرة مصر من قبل معاوية (سنة: ٤٤هـ)، توفي في خلافة معاوية لترجمته: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص٢٤٢)، و«الاستيعاب» (ج٣ ص١,٧٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم: (١٢٧٩) (ج١ ص٤٥١)، وله أطراف في: (٣٤,١ - ٣٨١٦ - ٣٨٥٧ - ٦,٦٢ - ٦٢١٨).

٤- وعن أبي مويهبة [١] مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أمِرْتُ أنْ أسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ البَقِيْعِ، فَانْطَلِق مَعِي** ... » الحديث، وفيه: ثم أقبل عليّ فقال: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أوْتِيْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالخُلْدَ فِيْهَا، ثُمَّ الجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ﷻ وَالجَنَّةَ**»، قال: قلت بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «**لَا، وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَد اخْتَرتُ لَقَاءَ رَبِّي وَالجَنَّةَ**»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله ﷻ فيه حين أصبح[٢].

٥- وكما أن الله سبحانه وتعالى أعطاه ﷺ مفاتيح خزائن الأرض، فإنه سبحانه أعطاه مفاتيح كل شيء فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أُوْتِيْتُ مَفَاتِيْحَ كُلِّ شَيءٍ إِلَّا الخَمْسَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾»[٣]، ووجه الاختصاص بَيِّنٌ مِن قَولِه: «وَأُعْطِيتُ»، وقوله: «وأُوْتِيْتُ» وهذا لم يكن لأحد إلا له ﷺ.

٢٤) من خصائصه الإعجازية: أن الله ﷻ تَكَفَّل بِحِفْظِ دِينِهِ ﷺ، الذي أرْسَلَهُ به إلى يوم القيامة.

لقد تكفل الله تعالى بحفظ الإسلام من التغيير والتبديل والتحريف، كما تكفل ببقائه، وهذا لم يكن لِدِينٍ غيره، فوجه الاختصاص والتفضيل فيه: ظاهر؛ لأن الله تعهد بنفسه بالحفظ المستلزم

---

[١] أبو مويهبه، ويقال: أبو موهبه وأبو مهوبه، وهو قول الواقدي - مولى رسول الله ﷺ - قال البلاذُرِيُّ: كَانَ مِن مُوَلّدي مزينة، اشتراه رسول الله ﷺ، فأعتقه وشهد غزوه المريسيع، وكان ممن يقود لعائشة جَمَلَهَا. يراجع: «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٧ ص٣٩٣)، و«أسد الغابة» (ج١ ص١٢٥٤).

[٢] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠٤٠) (ج٣ ص٤٨٨)، و«المستدرك» (ج٣ ص٥٧)، و«سنن الدارمي» باب في وفاة النبي ﷺ، رقم: (٧٨) (ج١ ص٥٠)، وقال حسين سليم: إسناده جيد.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، رقم: (٥٥٧٩) وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

لبقاء الذكر، والثناء عليه، ولعل هذا هو السر فيما حصل للديانات السماوية السابقة، من تبديل وتغيير وتحريف، حيث وَكَلَ الله ﷻ حفظها إلى علماء وأحبار تلك الديانات، فغيروا وبدلوا وحرفوا، بينما تكفل الله ﷻ – بنفسه – بحفظ هذا الدين بكتابه وسنته؛ ليكون هذا الدين الذي تكفل بحفظه، باقيًا صحيحًا سليمًا معجزًا.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1].

وإذا كان الله ﷻ قد صان كتابه الكريم من أن يُعْبَثَ به، أو يُنْتَهَك: فإنه صَان سنة رسول الله ﷺ كذلك، بما هَيَّأ لها مِن حُفَّاظٍ ونُقَّادٍ أظهروا زَيْفَ الزنادقة، وانحراف المبتدعة، وجهل الجَهَلَةِ، فصارت نقية صافية، وكل هذا من المعجزات الخوارق، لحفظ الله تعالى لهذا الدين[2].

٢٥) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية ﷺ: القَسَمُ بِحَيَاتِهِ في القرآن الكريم.

وَرَدَ فِي القُرآن القَسَمُ بِحَيَاتِهِ، أو بعظيم قدره ﷺ، وَلَم يكن ذلك لأحد غيره ﷺ، كما في قوله تعالى له ﷺ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3]، أقسم تعالى بحياة نبيه ﷺ، وهذا نهاية التشريف، وغاية التعظيم لصاحب المقام الرفيع، والجاه العريض، والتي هي منزلة فوق كل منزلة، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها مهما كان قدره، ووضعه في الدنيا؛ لأن ذلك فعل الله تعالى، كما أن القسم به اشتمل على آيات من القرآن، وهي معجزات بألفاظها، ومعانيها من غير خلاف؛ فكان القسم به من أكبر المعجزات.

قال القرطبي: أجمع المفسرون أن الله تعالى أقسم هنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون[4].

---

[1] سورة الحجر، آية: (٩).

[2] «عظيم قدره» (ص: ٧٥).

[3] سورة الحجر، آية: (٧٢).

[4] «تفسير القرطبي» (ج١٠ ص٣٦).

ونقل الشوكاني[1] عن القاضي عياض قوله: اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله ﷻ بمدة حياة محمد ﷺ، وكذا حَكَى إجْمَاعَ المفسرين على هذا المعنى أبو بكر ابن العَرَبِيّ، فقال: قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له[2].

وأما وجه الخصوصية: ففيما رُوِي عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره[3]، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4].

والمعنى: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحَيَاتِكَ يا محمد إن قومك من قريش: ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[5] يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون[6].

قال ابن كثير: أَقْسَمَ تعالى بِحَيَاةِ نبيه ﷺ وفي هذا تشريف عَظِيْمٌ وَمَقَامٌ رَفِيْعٌ وجَاهٌ عَرِيضٌ[7].

وقال جعفر بن محمد: مِن تَمَامِ نِعْمَتِهِ عليه أن جعله حبِيْبَهُ وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المَحِلِّ الأعلى، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأحمر والأسود، وأحَلَّ لَهُ ولأمته الغنائم، وجَعَله شفيعا مشفعا، وسيد ولد آدم، وقَرَن ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ، ورضاه برضاه، وجعله أحد رُكْنَي التَّوْحِيد[8].

---

[1] هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ، ومات حاكمًا بها، وكان يرى تحريم التقليد، له: (١١٤) مؤلفًا، توفي: (١٢٥٠ هـ)، من مصنفاته: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للمجد بن تيمية، وفتح القدير في التفسير، والسيل الجرار في شرح الأزهار في الفقه، وإرشاد الفحول في الأصول. يراجع: «البدر الطالع» (ج٢ ص٢١٤ - ٢٢٥)، و«نيل الأوطار» (ج١ ص٣).

[2] «فتح القدير» (ج٣ ص١٩٧).

[3] «تفسير الطبري» (ج٧ ص٥٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٧٣١)، و«الدر المنثور» (ج٥ ص٨٩).

[4] سورة الحجر، آية (٧٢).

[5] سورة الحجر، آية (٧٢).

[6] «تفسير الطبري» (ج٧ ص٥٢٦).

[7] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٧٣١).

[8] «الشفا» (ج١ ص٥٠).

٢٦) مِن خَصَائِصه الإعجازية: أنه ﷺ نَبِيُّ الإسلام.

لقد اختار الله ﷻ بِمَنِّهِ وفَضْلِهِ وكَرَمِهِ نَبِيَّه محمدًا ﷺ لأنْ يَكُونَ نَبِيَّ الإسلام، ورسول الإسلام، الدين الذي ارتضاه ﷻ بنفسه، ولم يقبل من أحد أن يَدِيْنَ له بغيره، هذا الدين الذي تمنى الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يموتوا عليه، ودعوا إليه، وكان مَدْعَاة فَخْرٍ واعتزاز أن يكون رسوله محمد ﷺ خير رسله، الذي اختاره نبيا لدينه، وسَمَّي أتباعه بالمسلمين[١].

وهذا القَدْرُ مُعْجِزٌ في أنه لا يستطيع أحد ادِّعَائَهُ، أو يكون له هذا الفضل، وذلك الجاه العريض عند الله تعالى، فهو اختصاص من الله تعالى، والله أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه، فخص الإسلام برسوله محمدًا، وخص الحبيب محمدًا بالإسلام، وكذلك الأمة المحمدية أي: المسلمين، وتلك خصوصيات لم تكن لأحد من قبل، ولا من بعد، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾[٤].

والذي سماهم المسلمين هو: الله ﷻ، وليس إبراهيم عليه السلام كما يظنه بعض أهل العلم[٥]، ويدل قوله ﷺ : « ... **وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ**

---

[١] «عظيم قدره» (ص: ٤٣).

[٢] سورة آل عمران، آية: (١٩).

[٣] سورة آل عمران، آية: (٨٥).

[٤] سورة الحج، آية: (٧٨).

[٥] «عظيم قدره» (ص: ٣٧)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»**[1].

فقد سَمَّاهم الله ﷻ «المسلمين»، وهو ﷺ نبي الإسلام، ومن أراد الله ﷻ هدايته: هداه للإسلام، ومن هداه الله ﷻ للإسلام، فهو على نور من ربه ﷻ: فقد قال الله ﷻ:﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلام ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [3].

٢٧) ومِن خَصَائِصِه ﷺ: أنه أوْلَى بِالأنبياء مِن أُمَمِهِم.

لقد جعل الله النبي أولى بالأنبياء من أممهم؛ لأنه ﷺ جاء مصدقًا برسالاتهم وهم من قبل جاءوا مبشرين برسالته، وقد تمني مَنْ رَأى فَضْلَ أمته أن لو كان من أمته ﷺ، وقد رد الله على اليهود والنصارى عندما ادَّعَى كل منهم أن إبراهيم عليه السلام منهم، فنفى الله ﷻ هذا الادعاء، وبين أنه ليس كذلك، وإنما أولى الناس به هذا النبي الكريم محمد ﷺ، ومَن اتَّبَعَهُ من المؤمنين؛ لأنهم التقوا وإياه في المنهج والخط المستقيم.

أما اليهود والنصارى: فقد غيَّروا وبدَّلوا وكفروا، ثم هُم بَعْدَهُ؛ فكيف يزعمون أنه عليه السلام منهم! لذا أعلن الله ﷻ براءة إبراهيم عليه السلام منهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4]، والذي هو أولى الناس بإبراهيم، عليه السلام – وهو أبو الأنبياء – هو أولى الناس بالرُّسُلِ مِن ذريته أيضًا.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم: (٢٨٦٣) (ج٥ ص١٤٨)، وأحمد في مسنده، حديث الحرث الأشعري عن النبي ﷺ، رقم (١٧٢,٩) (ج٤ ص١٣٠).

[2] سورة الأنعام، آية: (١٢٥).

[3] سورة الزمر، آية: (٢٢)، وانظر: «عظيم قدره» ص: (٤٣).

[4] سورة آل عمران، آية: (٦٥ – ٦٧)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

ولما كان موسى وعيسى عليهما السلام مِنْ أوْلِى العَزْمِ، وهما بَعْد إبراهيم عليه السلام، وهما أشهر أنبياء بني إسرائيل؛ لذا فقد بَيَّنَ رَسُول الله ﷺ أنه هو أولى بهما مِن أتباعهما؛ بل جعل أمته ﷺ أولى بهما من أتباعهما أيضًا، وأنهما عليهما السلام يبرءان إلى الله مما ادعاه أتباعهما، لهما أو عليهما، وهما منه براء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا أَوْلَى بِعِيْسَى بْنِ مَرْيَم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة**»[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «**مَا هَذَا**»؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يومٌ نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: «**فَأَنَا أحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُم**» فَصَامَهُ وَأمَرَ بِصِيَامِهِ»[2]، وفي لفظ: «**أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُم**»[3]، وفي البخاري: «**أَنْتُم أحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُم**»[4].

وكيف لا؟ وقد حرف اليهود والنصارى كتابَيْهما، وادعوا عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا - عليهما السلام - ما لَم يَقُولَاه هُما، وخالفوا أوامرهما، والتي فيها الإيمان بمحمد ﷺ واتِّبَاعَهُ وَنُصْرَتَه[5].

٢٨) من خصائصه الإعجازية ﷺ أن الله خصه بأن يكون نبيًا أميًّا لا يقرأ ولا يكتب؛ لإظهار التحدي، والإعجاز على الوجه الأكمل.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، رقم: (٣٢٥٩) (ج٣ ص١٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم (١٩٠٠) (ج٢ ص٧,٤)، ومسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء رقم (١١٣٠)، (ج٢ ص٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى}، رقم (٣٢١٦) (ج٣ ص١٢٤٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة يونس، رقم (٤٤,٣) (ج٤ ص١٧٢٢).

(٥) «عظيم قدره» (ص: ٣٩)، و«محمد ﷺ كأنك تراه» د. عائض القرني (ص: ٤٥ - ٥٥) بتصرف، ط١، (١٤٢٢ هـ)، بيروت.

إن الله اختار نبيه محمدًا ﷺ نبيًّا أميًّا، ومع هذا جعله معلمًا للمتعلمين، لا يعلم الناس العلم فحسب، ولكن يعلمهم مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وأكرم الخصال، وأشرف السجايا، وأنبل الخلال، فيجمع بين التعليم والتربية والتهذيب والهداية بما لم يوجد في أحد سواه.

وهذا وجه الإعجاز والخصوصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾؛ ولذا قال أمير الشعراء:

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأمِّيِّ مُعْجِزَةً *** عِنْدَ البَرِيَّةِ وَالتَّأدِيْب فِي اليُتْمِ
فَهُوَ الذَّي تَمَّ مَعْنَاهُ وَكَرَّمَه *** ثُمَّ اصْطَفَاهُ رَسُوْلًا بَارِئُ النَّسَمِ[1]

وكما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] فهي خصوصية من الله تعالى، خص بها نبيه ﷺ دون غيره، وفضله وشرفه بها على كل الخلق، حيث لم يجعل لأحد منة التعليم على نبيه، فيكون علمه عن الله تعالى؛ يعني: من الله عليه؛ من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة، جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم[3].

وهذا معناه أن: الله حمى نَبِيَّهُ أن يكون لأحد من الخلق عليه منة وفضل، وإنما الفضل من الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[4].

---

[1] ومن قَبْلُ قال البُوصَيْرِيُّ:

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأمِّيِّ مُعْجِزَة *** فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأدِيْب فِي اليُتْمِ

انظر: «روح المعاني» (ج٣ ص٢,١)، و«مناهل العرفان» (ج٢ ص٢٥٣).

[2] سورة آل عمران، آية: (١٦٤).

[3] «تفسير الطبري» (ج٣ ص٥,٦).

[4] سورة النساء، آية: (١١٣).

٢٩) من خصائصه الإعجازية ﷺ: كَثْرَةُ مُعْجِزَاتِه الدالة على تفضيله وتكريمه.

لا خلاف بين العلماء على أن: معجزات النبي ﷺ لا تحصى كثرة، عدَّها البعض: ثلاثة آلاف معجزة.

قال النووي في مقدمة «شرح مسلم»: معجزات النبي ﷺ أكثر مِن ألْفٍ ومِائَتَي مُعْجِزَة أعظمها: القرآن الكريم[١].

وقال ابن حجر: عدَّها بعض العلماء ثلاثة آلاف معجزة، وقد اعتني بعدها جماعة منهم: البيهقي، وأبي نعيم وغيرهم[٢].

وقال النووي: ومعجزاته ﷺ أكثر من أن يجمعها كتاب، أو يحصرها ديوان[٣].

وقال القاضي أبو الفضل: ومُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا ﷺ أظهر مِن سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرها، وأنه لم يؤت نبي معجزةً إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها، وأما كونها كثيرة فهذا القرآن، وكله معجز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٤]، أو آية في قَدْرِهَا، وذهب بعضهم إلى أن: كل آية منه - كيف كانت - معجزة.

الوجه الثاني: وضوح معجزاته ﷺ وبقائها وخلودها، فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه.

فلما كان زمن موسى غاية علم أهل السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تُشْبِهُ ما يَدَّعُونَ قُدْرَتَهُم عليه، فجاءهم منها ما خرق عادتهم، ولم يكن في قدرتهم، وأبطل سحرهم، وكذلك زمن عيسى

---

[١] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٢).

[٢] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣ – ٥٨٩) بتصرف، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (ج١٥ ص٣٨).

[٣] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٦٣)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[٤] سورة الكوثر، آية: (١).

أغنى ما كان الطب، وأوفر ما كان أهله، فجاءهم أمر لا يقدرون عليه، وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طِبٍّ، وهكذا سائر معجزات الأنبياء[1].

ثم بَعَثَ مُحمدًا ﷺ، وجملة معارف العرب وعلومها أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة الفصول من: الفصاحة، والإيجاز، والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب، والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه، ومن الأخبار عن الكوائن، والحوادث، والأسرار، والمخبآت والضمائر، فَتُوْجَدُ عَلى ما كانت، ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك، وجاء من الأخبار عن القرون السالفة، وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة، والحوادث الماضية: ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبَيَّنَّا المعجز فيها[2]، ثم بقيت معجزات القرآن ثابتةً إلى يوم القيامة، بينة الحجة لِكُلِّ أمَّةٍ تأتي، لا يخفى وجوه ذلك على مَن نَظَرَ فِيْهِ، وتأمل وجوه إعجازه، إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل، فلا يَمُرُّ عصر ولا زمن إلا يظهر فيه صدقه بظهور مُخْبَرِهِ على ما أخبر، فيتجدد الإيمان، ويتظاهر البرهان، وليس الخبر كالعيان كما قيل، وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم، وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل؛ ولهذا أشار ﷺ بقوله: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الذِي أُوْتِيْتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُم تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ**»[3].

---

[1] «الشفا» (ج١ ص٣٧٠).

[2] «الشفا» (ج١ ص٣٧١).

[3] سبق تخريجه (ص: ٢٩).

٣٠) ما أكرمه الله به مِن إجَابَةِ أدْعِيَتِهِ ﷺ لِبَعْضِ الصَّحَابَة، وعلى بعض الكفار.

من خصائصه ﷺ الإعجازية أن الله تعالى خصه بإجابة الأدعية؛ ليكون عوناً على ما كلفه بـــه، وآية على مَن أنكر رسالته، فدخل بهذا في وجوه الإعجاز[١]، **ومن ذلك أشياء كثيرة لا حصر لها في مواقف لا تحصى منها ما يلي:**

١- عن هَبَّار بنِ الأسْوَد[٢] قال: كان أبُو لهب وابنُه عتيبة ابن أبي لهـــب تجهـــزا إلى الشـــام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتيبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه في ربه، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد؛ هُوَ يَكْفُر بالذِي دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَان قَابَ قوسين أو أدنى، فقال الـــنبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ ابْعَث علَيْهِ كَلبًا مِن كِلَابِكَ**»، ثم انْصَرَفَ عَنْهُ، فرجع إلى أبيه فقال: يا بني ما قُلْتَ له؟ فذكر له ما قال له، ثم قال: فما قال لك؟ قال: قال: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، فقـــال: والله يا بني ما آمَن عَليك دُعَاءَهُ، فَسِرْنَا حتى نزلنا السراة، وهي مَأسَـــدَةٌ، فنزلنـــا إلى صـــومعة راهب، فقال الراهب: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد؟ فإنما تَسْرَحُ الأسْدُ فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم عرفتم كِبَرَ سِنِّي وحَقِّي، فقلنا: أجَل يا أبا لهب؟ فقال: إن هـــذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمَنُهَا عليه، فاجْمَعُوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشُوا لابْنِي عليها، ثم افرشوا حَوْلَها، ففعلنا فَجَمَعْنَا المتاع، ثم فرشنا له عليه، وفرشنا حوله، فبينا نحن حوله، وأبو لهب معنا أسفل، وبَاتَ هو فوق المتاع، فجاء الأسد فشم وجوهنا، فلما لم يجد مـــا يريد انقبض؟ فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه ثم هَزَمَهُ هَزْمَةً، فهَشَمَ رَأسَهُ، فقال أبو لهب: لقد عرفت أنه لا يَنْفَلِتُ مِن دَعْوَةِ محمد»[٣].

٢- ومن ذلك: أن المستهزئين به مِن قريش وهم سبعة: الوليد بن المغيرة، والعاص بـــن وائـــل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وفكيهة بن عامر الفهري، والحرث بن الطلاطلـــة،

---

[١] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[٢] هَبَّارُ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أمه: فاختة بنت عامر بن قرظة القشيرية، وأخواه لأمه: حزن وهبيرة ابنا أبي وهب المخزوميان. «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٦ ص٥٢٤).

[٣] أخرجه الحاكم في «المستدرك» رقم: (٣٩٨٤)، (ج٢ ص٥٨٨)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

والأسود بن الحرث، وابن عيطلة، كانوا يكثرون منه الاستهزاء، ويواصلون عليه الإيذاء، وكان لا يقرأ إلا مُسْتَسِرًّا، ولا يدعو إلا مستخفيًا، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [1]، أي لا تجهر بها فيؤذوك، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يسمعوك، وابتغ بين الجهر والإسرار سبيلاً[2]، فأذِنَ لأصْحَابه حين اشتد بهم الأذى في الهجرة إلى أرض الحبشة؛ لأنَّ مَلِكَها كان منصفاً، ورغب إلى الله تعالى أن يَكْفِيَهُ أمْرَهُم، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [3].

وفي معني قوله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ **تأويلان:**

أحدهما: امْضِ لِما تُؤْمَرُ به مِن إبطال الشرك.

والثاني: أظْهِر مَا تُؤْمَرُ به من الحق.

وفي قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ **تأويلان:**

أحدهما: استهزئ بهم، **والثاني:** لا تهتم باستهزائهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني: بما عجله من إهلاكهم[4].

فأما الوليد بن المغيرة: فإنَّهُ ارْتَدَى، فَعَلِقَ بِردَائِه شوك، فذهب يجلس عيه، فقَطَعَ أكْحَلَه فَنَزَفَ، فمَاتَ لِوَقْتِه[5].

وأما العاص بن وائل: فَوَطِئَ عَلى شَوْكَةٍ، فتَسَاقَطَ لَحْمُه مِن عظامه فمات من يومه[6].

---

[1] سورة الإسراء آية: (١١٠).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[3] سورة الحجر آية: (٩٤)، (٩٥).

[4] «تفسير القرطبي» (ج١٠ ص٥٧)، و«مختصر ابن كثير» (ج٢ ص٤٦).

[5] «أعلام النبوة» (ج١ ص١٤٢).

[6] «أعلام النبوة» (ج١ ص١٤٢).

وأما الأسود بن عبد يغوث: فقد كان رسول الله ﷺ دعا عليه بالعَمَى وثَكْلِ ولده، فأتِى بِغُصْنٍ فيه شوك، فأصاب عينه، فسالت حدقتاه على وجهه، وقتل ولده زمعة يوم بدر، فأعمى الله بصره، وأثكله ولده.

وأما فكيهة بن عامر: فخرج يريد الطائف، ففقد و لم يوجد.

وأما الحرث بن الطلاطلة: فإنه: خرج لبعض حوائجه، فضربه السموم في الطريق فاسود منه ومات[1].

وأما الأسود بن الحرث: فأكل حوتًا مملوحًا فأصابه عطش، فلم يتمالك من شرب الماء، حتى انشق بطنه ومات.

أما ابن عيطلة: فاستسقى فمات[2].

٣- ومن ذلك: ما رواه ابن مسعود، قال: كنا مع رسول الله ﷺ نصلي في ظل الكعبة، وناس من قريش وأبو جهل، قد نحروا جزورًا في ناحية مكة، فبعثوا، فجاءوا بِسَلَاها، وَطَرَحُوه بينَ كَتِفَيْهِ وهو سَاجِدٌ، فَجاءت فاطمة رضي الله عنها فَطَرحته عنه، فلما انصرف قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ وبِأبِي جَهْلٍ، وعُتْبَة، وشَيْبَةَ، والوَلِيْدَ بنِ عُتْبَةَ، وأمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وعُقْبَةَ بنِ أبِي مُعَيْطٍ**»، قال عبد الله بن مسعود: فلقد رأيتُهُم قَتْلَى فِي قَلِيبِ بَدْر[3].

٤- ومن ذلك: أنَّ خَبَّاب بنَ الأرَتِّ[4] قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ**

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق .

[3] أخرجه أبو يعلي في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم (٥٣١٢) (ج٩ ص٢١١)، وقال حسين سليم: «صحيح».

[4] هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو يحيى أو أبو عبد الله، التميمي: صحابي من السابقين، قيل : أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه، ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها، ولما رجع علي رضي الله عنه من صفين مر بقبره، فقال: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا. روى له البخاري ومسلم (٣٢) حديثا توفي (سنة: ٣٧ هـ). يراجع: «الإصابة» (ج١ ص٤١٦)، و«تهذيب التهذيب» (ج٣ ص١٣٥)، و«أسد الغابة» (ج١ ص٥٩٢).

فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1]، ثم دعا عليهم فقال: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِم سِنِيْنَ كَسِنِيِّ يُوْسُفَ**»[2]، فقَطَعَ الله عَنْهُم المَطَرَ، حتى مات الشجر، وذهب الثمر، وأجدبت الأرض، وماتت المواشي، واشتروا القَدَّ، وأكلوا العِلْهِزَ، فلما انتهت بهم الموعظة استَعْطَفُوه فَعَطَف، ورغب إلى الله تعالى فمُطِرُوا.

٥- وما رواه ابن عباس قال: قيل لعمر: حَدِّثْنَا عَن شَأنِ جَيْشِ العُسْرَة، فقال عمر ﷺ: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ في قَيْظٍ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش خشينا أن تنقطع رقابنا، فكان الرجل يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى كان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه ثم يجعل ما بقي على صدره، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله إن الله قد عَوَّدَكَ في الدعاء خيرًا، فادع الله لنا، قال: «**أتُحِبُّ ذَلِك؟**» قال نعم، فرفع رسول الله ﷺ يده، فلم يُرْجِعْهَا حتى مَالت السحاب فأظلت وأمطرت، حتى رووا، وملؤوا ما معهم من الأوعية، فذهبنا ننظر فلم نَجِدْهَا جَاوَزَت العسكر[3].

٦- وعن أنس بن مالك ﷺ، قال أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بَعِير يَئِطُّ، وَلَا صَبِيٌّ يَصْطَبِح.

ثم أنشد:

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تَدْمَى لِبَانُهَا *** وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤١٦ - ٦٥٤٤) (ج٣ ص١٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، رقم: (٧٧١) (ج١ ص٢٧٧)، وله أطراف في الأرقام: [٧٥٢ - ٧٥٦ - ٧٦٤ - ٩٦١]، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة رقم (٦٧٥٠) (ج١ ص٤٦٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمه في صحيحه، كتاب الوضوء، باب ذكر الدليل على أن الماء إذا خالطه فرث ما يؤكل لحمه لم ينجس، رقم (١،١) (ج١ ص٥٢)، وقال الألباني: «فيه ابن أبي هلال كان اختلط».

وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الشُّجَاعُ اسْتِكَانَةً *** مِنَ الْجُوعِ ضَعْفًا مَا يَمُرُّ وَمَا يُحلِي

وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا *** سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسلِ

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا *** وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرُّسْلِ[1]

فقام رسول الله ﷺ، وصعد المنبر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيًّا مَرِيعًا، غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلًا غَيْرَ رَايِثٍ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ وَتُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»، فما استتم الدعاء حتى ألقَت السماء بأروقتها، فجاء أهل البطانة يَضِجُّونَ، يا رسول الله الغَرَق. فقال: «**حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**»، فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ، حتى بَدَت نَوَاجِذُه، وقال: «**لله دَرُّ أبي طَالِبٍ، لَو كَانَ حَيًّا لَقَرَّت عَيْنَاهُ، مَن الذِي يُنْشِدُنَا شِعْرَهُ؟**» فقال علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – يا رسول الله كأنك أرَدْتَ قوله[2]:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ *** ثِمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةٍ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ *** فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ *** وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ *** وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

وقام رجل من كنانة وأنشد:

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرْ ... سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطَرْ

دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعْوَةً ... أُجِيبَتْ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَرْ

وَلَمْ يَكُ إِلَّا كَقَلْبِ الرِّدَاءِ ... وَأَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الْمَطَرْ

دُفَاقَ الْعَزَالِي وَجَمَّ الْبُعَاقِ ... أَغَاثَ بِهِ اللَّهُ عُلْيَا مُضَرْ

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[2] انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ ... أَبُو طَالِبٍ ذُو رِدَاءٍ وَغُرَرْ

وَيَسْقِي بِكَ اللَّهُ صَوْبَ الْغَمَامِ ... وَهَذَا الْعَيَانُ لِذَاكَ الْخَبَرْ

فَمَنْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَلْقَى الْمَزِيدَ ... وَمَنْ يَكْفُرِ اللَّهَ يَلْقَ الْغِيَرْ

فقال رسول الله ﷺ: «**إِنْ يَكُ شَاعِرٌ يُحْسِنُ فَقَد أَحْسَنْتَ**»[1].

٧- **وما أظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس،** حين استَسْقَى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، متوسلاً إلى الله بعم نبيه ﷺ، فخرج يستسقي به، وقد أجدب الناس، فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وبقية آبائه، وكبير رجاله، فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقد دلونا به إليك مستشفعين إليك مستغفرين. فقال العباس وعيناه تنضحان: اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة، فقد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك مِن قبل أن يقنطوا ليهلكوا، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون. فنشأت السحاب، وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه، ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين فقال حسان بن ثابت:

سَأَلَ الإِمَامُ وَقَد تَتَابَعَ جَدْبُنَا *** فَسَقَى الغَمَام بِغُرَّةِ العَبَّاسِ

عَمُّ النَّبِيِّ وَصِنْوُ وَالِدِهِ الذِي *** وَرِثَ النَّبِيّ بِذَاكَ دُوْنَ النَّاسِ

أحْيَا الإِلَهُ بِه البِلَادَ فَأصْبَحَت *** مُخْضَرَّةَ الأجْنَابِ بَعْدَ اليَاسِ

فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يفتخر بذلك:

بِعَمِّي سَقَى الله الحِجَازَ وَأَهْلَهُ *** عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِسيْبَتِه عُمَرُ

تَوَجَّه بِالعَبَّاسِ فِي الجَدْبِ رَاغبًا *** فَما كَرَّ حَتَّى جَادَ بِالدِّيْمَةِ المَطَرُ[2]

٨- وما روي عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا حدث السن، لا علم لي بالقضاء، قال: «**انْطَلِق فَإِنَّ الله سَيَهْدِي**

---

[1] أخرجه الطبراني في «الدعاء»، برقم: (٢١٨٠)، (ص: ٥٩٧).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٥).

قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ»، قال علي ﷺ: فما شككت في قضاء بين اثنين[1]؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أَقْضَاكُم عَلِيٌّ**»، ومثله قوله لابن عباس، وهو يومئذ غلام: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وعَلِّمْهُ التَّأوِيْلَ**»، فَخَرج أفقهَ الناس في الدين وأعلمهم بالتأويل، حتى سُمِّي «البَحْرَ» لِسَعَة علمه»[2].

٩- وما رواه جعيل الأ شجعي قال: غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته فقال: «**سِرْ يَا صَاحِبَ الفَرَسِ**»، فقلت يا رسول الله، هِي عَجْفَاءُ ضَعِيْفَةٌ، فرفع مخفقة معه فضربها بها، وقال «اللهُمَّ بَارِك لَهُ فِيْهَا»، قال: فلقد رأيتني ما أمسك رأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفاً[3].

١٠- عن إياس بن سلمة [4] عن أبيه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم فتوارى عني، فلما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طَلَعُوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ فولى صحابة النبي ﷺ، وأرجع منهزمًا وعلى بردتان متزرًا بإحداهما مرتديًا بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعًا، ومررت على رسول الله ﷺ مُنْهَزِمًا، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَد رَأى ابنُ الأكْوَعِ فَزَعًا**»، فلما غَشَوا رسول الله ﷺ نَزَلَ عَن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شَاهَت الوُجُوهُ**» فما خلف الله منهم

---

[1] أخرجه أبو يعلى في مسنده، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (٤,١) (ج١ ص٣٢٣)، وقال حسين سليم أسد: «إسناده ضعيف».

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[3] أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم: (٨٧٦٧)، (ج٨ ص١١٣)، والطبراني في «الكبير»، رقم: (٢١٧٢)، (ج٢ ص٢٨٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٥ ص٢٦٣): «رجاله ثقات».

[4] هو إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي، أبو سلمة، يقال أبو بكر المدني، روى عن أبيه وابن لعمار بن ياسر، قال ابن معين والعجلي والنسائي: ثقة، وقال ابن سعد: توفي بالمدينة (١١٩ هـ)، وهو ابن ٧٧ سنة، وكان ثقة، وذكره ابن حبان : في الثقات. ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج١ ص٣٨٨)، و«شذرات الذهب» (ج١ ص١٥٦)، و«طبقات ابن سعد» (ج٥ ص٥٥٥).

إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين [1].

٣١) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية: ظهور معجزاته ﷺ في تَكْلِيم الشجر والجماد له.

ليس بمستبعد، ولا مستغرب أن يُحْدِثَ الله تعالى من الآيات الخارجة عن العادة ما يَحُجُّ الله تعالى به من استَبْصَر، ويمد به من استنصر، ويؤيد بها حبيبه ﷺ، وفي ذلك من الإعجاز والتكريم والتفضيل مالا يخفي حيث كثرة المعجزات، والمشاهد المؤيدة للفضل، والرسالة، والعون والنصر مع قوتها وعظمتها في الفرق بينها وبين ما كان للأنبياء السابقين.

ومن ذلك ما يلي:

١- ما رواه ابنُ عُمَر قال: كُنَّا مَع رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**»، قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: «**هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟**»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «**هَذِهِ السَّمُرَةُ**»، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا، حَتَّى كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنْ يَتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فَكُنْتُ مَعَكَ[2].

٢- وما رواه يَعْلَى بنُ مُرَّةَ عَن أبيه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ، فَقَالَ لِي: «**ائْتِ تِلْكَ الْأَشَاءَتَيْنِ**» - قَالَ: وَكِيعٌ: يَعْنِي النَّخْلَ الصِّغَارَ - «**فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ**

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم: (١٧٧٧) (ج٣ ص١٤٢).

[2] أخرجه الدارمي في سننه، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم: (١٦) (ج١ ص٢٢)، وفي صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب المعجزات، رقم (٦٥٠٥) (ج١٤ ص٤٣٤).

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا» فَاجْتَمَعَتَا، فَاسْتَتَرَ بِهِمَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**ائْتِهِمَا، فَقُلْ لَهُمَا: لِتَرْجِعْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا إِلَى مَكَانِهَا**» فَقُلْتُ لَهُمَا، فَرَجَعَتَا[1].

٣- وما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شَجَرٌ ولا جَبَلٌ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[2].

٤- وما رواه أبوهريرة قال: صعد النبي ﷺ حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال النبي ﷺ: «**اسْكُن حِرَاء، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**»، فسكن الجبل[3].

٥- وما رواه جابر قال: أن النبي ﷺ لَم يَسْلُك طَرِيقًا - أو لا يسلك طريقًا فيتبعه أحد - إلا عُرِفَ أَنَّهُ قَد سَلَكَهُ، مِن طِيْبِ عَرَقِهِ، أو قال: مِن رِيْحِ عَرَقِه[4].

٦- وما رواه أنس: أن النبي ﷺ أخذ حَصَيَاتٍ في يده فَسَبَّحْنَ حتى سَمِعْنَا التسبيح، ثم صَيَّرَهُن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عمر، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عثمان، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبحت حصاة منهن[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب الارتياد للغائط والبول، رقم: (٣٣٩) (ج١ ص١٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، رقم: (٣٦٢٦)، (ج٥ ص٥٩٣)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، رقم (٢٤١٧) (ج٤ ص١٨٨٠).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، باب في حسن النبي ﷺ، رقم: (٦٦)، (ج١ ص٤٥).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٣٩ ص١٢٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (ج١ ص٢٠٣).

٧- وما رواه جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا مِن مَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ البَعْثَةِ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ**»[١].

٨- وأنه ﷺ كان يخطب إلى جِذْعٍ يَسْتَنِدُ إليه، فلما اتَّخَذَ مِنْبرًا تَحَوَّلَ عن الجذع إليه، فَحَنَّ إليه الجذع حتى ضَمَّهُ إليه فسكن[٢].

٩- وأنَّه أوَّل ما أوحي إليه لَم يَمُرَّ بِحَجَرٍ ولا مَدَرٍ إلا سلم عليه بالنبوة ﷺ، وهذا نظير قول الله تعالى لداود: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ [٣].

١٠- وما رواه حمزة بن عمرو الأسلمي قال: نفرنا مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعي[٤].

١١- وما رواه عبد الله بن مسعود قال: كنا نَعُدُّ الآيَات بَرَكَة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فَقَلَّ المَاءُ فقال: «**اطْلُبُوا فَضْلَةً مِن مَاءٍ**» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدْخَلَ يَدَهُ فِي الإنَاءِ، ثم قال: «**حَيّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَك وَالبَرَكَةِ مِنَ اللهِ**»، فلقد رأيت الماء يَنْبُعُ مِن بين أصابع رسول الله ﷺ، وَلَقد كُنَّا نَسْمَع تَسْبِيح الطعام وهو يُؤْكَل[٥].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم: (٢٢٧٧)، (ج٤ ص١٧٨٢).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الجمعة، باب ما جاء في الخطبة على المنبر، رقم (٥٠٥) (ج٢ ص٣٧٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في بدء شأن المنبر، رقم (١٤١٥) (ج١ ص٤٥٤)، وأحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، رقم (٢٢٣٦) (ج١ ص٢٤٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٣] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٦٩).

[٤] أخرجه إسماعيل الأصبهاني= قوام السنة في «سير السلف الصالحين» (ص: ٣٦٨).

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٨٦) (ج٣ ص١٣١٢).

٣٢) مِن خَصَائِصِه الإعْجَازِيَّة: مَا شُوهِد مِن مُعْجِزَاتِ أفْعَالِهِ.

لقد تعددت معجزات النبي ﷺ، وتنوعت إلى درجة أنه لا يستطيع العاد لها أن يحصيها، وذلك لأنها أنواع وأصناف منها القولي، والفعلي، ومنها ما يحمل معنى البشارة، وما يحمل معنى الإنذار.

وفيما يلي أهم المعجزات الفعلية:

١- معجزة الطعام القليل المتكاثر، ومما يدل عليها:

ما روي عن جابر قال: كُنَّا مَع رسول الله ﷺ يوم الخندق، نَحْفُر، فلبثنا ثلاثة أيام لَم نَطْعَم طعامًا ولا نقدر عليه، فعرضت في الخندق كُدْيَةٌ غليظة لا يعمل فيها الفأس، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق ورششنا عليها الماء، فقام وبطنه مُعَصَّبٌ بالحجر، فأخذ المِعْوَلَ والمِسْحَاةَ ثم سمى ثلاثاً، ثم ضرب، فعادت كثيبًا أهْيَلَ، فلما رأيت ذلك منه قلت: يا رسول الله إئذن لي، فأذن لي، فجئت إلى امرأتي، فقلت: ثكلتك أمك إني رأيت من رسول الله ﷺ شيئاً لا صبر لي عليه، فما عندك قالت: عندي صاع من شعير وعَنَاق، قال: فطحنا الشعير، وذَبَحْنَا العناق وطبخناها وجعلناها في البُرْمَةِ وعَجَنَّا العَجِين، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية فأذِنَ لي، فجئت فإذا بالعجين قد أمْكَنَ فأمَرْتُهَا بالخبز، وجعلت القدر على الأثافي ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فشاورته، وقلت: عندنا طُعَيْمٌ لَنَا فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فَعَلْت، فقال: «**مَا هُوَ وَكَم هُوَ؟**» قلت: صاع من شعير وعناق، فقال: «**ارْجِع إلَى أهْلِكَ فَقُل لَهَا: لَا تَنْزِع البُرْمَةَ مِن الأثَافِي وَلَا يَخْرُج الخُبْزُ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي**»، ثم قال للناس: «**قُومُوا إلى بَيْتِ جَابِر**»، فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله تعالى. فقلت لامرأتي: قد جاء رسول الله ﷺ بأصحابه أجمعين، فقالت: أكان سألك كم الطعام ؟ قلت: نعم، قالت: الله ورسوله أعلم، قد أخبرتَه بِما كان عندنا، فذهب عني بعض ما أجده، وقلت لها: صدقت[1]، وجاء رسول الله ﷺ فدخل ثم قال لأصحابه: «**لا تَضَاغَطُوا**»، ثم بَرَّكَ على التنور والبرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنثرد ونغرف

---

[1] أخرجه الدارمي في سننه، باب ما أكرم به النبي ﷺ في بركة طعامه، رقم (٤٢) (ج١ ص٣٣).

وتُقَرِّبُ إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لِيَجْلِس عَلى الصَّحْفَةِ سَبْعَةٌ أوْ ثَمَانِيَةٌ**» فلما أكلوا: كَشَفْنَا التنور والبرمة فإذا هما قد عادا إلى أمْلأ مِمَّا كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت طائفة من الطعام[1]، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**إنَّ النَّاسَ قَد أصَابَهُم مَخْمَصَةٌ فَكُلُوا وَأطْعِمُوا**»، فَلَم نَزَل يَوْمَنَا نَأكُلُ ونُطْعِمُ[2].

قال: فأخبروني أنهم كانوا ثمانمائة، أو قال: مائتين أقل من الثمانمائة، وهذا نَظِيْرُ مُعْجِزَةِ عيسى عليه السلام في المائدة.

٢- ومنها ما رواه أنس بن مالك: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعْرِفُ فِيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها فَلَفَّت الخُبْزَ بِبَعْضِه، ثم أرسلني إلى رسول الله ﷺ، فوجودته في المسجد معه الناس فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت: نعم، قال: للطعام ؟ قلت: نعم، فقال لمن معه: قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ وأنس معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ : «**يَا أمَّ سُلَيْمٍ، هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ**»، فجاءت بذلك الخُبْز، فأمَرَ بِهِ فَفُتَّ، وعَصَرت أم سليم عكَّةً لها، ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول، ثم قال: «**ائْذَن لِعَشَرَةٍ**» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال «**ائْذَن لِعَشَرَةٍ**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائْذَن لِعَشَرَةٍ**»، حتى أكل القوم وشبعوا وخرجوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

والمعجز فيه مع إطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه[3].

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١١١).

[2] المصدر السابق.

[3] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٨٥) (ج٣ ص١٣١١)، ومسلم في الأشربة باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، رقم (٢٠٤٠)،

وهذا نظير ما أعطي موسى من الحَجَرِ الذي انفجرت منا اثنتا عشرة عينًا.

٣- وما رُوِيَ أنه في غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِق دَعَا بِرَكْوَةٍ جَافَّةٍ ثم تَفَلَ فِيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عُيُونًا حتى شرب الخيل والإبل ومُلِئَ كُلُّ سِقَاء[1].

٤- وأن قومًا شَكَوا إليه ﷺ مُلُوحَةَ مَائِهِم، فقام بأصحابه حتى أشْرَفَ على بئرهم، فتَفَلَ فيها ثم انصرف، فانْفَجَرَت بِالْمَاءِ الزُّلَال، وكانت غائرة، وإنها على حالها إلى اليوم ويتوارثها أهلها، ويعدونها من أعظم مفاخرهم[2]، ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة سألوه مثلها، فتفل فيها، فصار ماؤها أجاجاً كبول الحمار، وهي إلى اليوم على حالها.

---

[1] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (٧٧٤) (ج١ ص٤٣٩).

[2] «أعلام النبوة» (ج١ ص١١١).